السنة السادسة　　العدد ٣　　١ شباط سنة ١٩٠٣

المشرق

ترجمة الطيب الأثر

الخوري نيقولاوس الصائغ

ارسل الينا احد افاضل رهبان الروم الكاثوليك الحلبيين من دير الشير افادات عديدة في ترجمة فريد وطنهِ وفخر ملّتهِ الخوري نيقولاوس الصائغ نقل اكثرها عن سجلّات الرهبانيَّة فاقتبسنا من انوارها واجتنينا من اثمارها واضفنا اليها ما اتَّصلت اليهِ يدنا من معلوماتنا الخاصَّة فادمجناها بها واخرجنا سيرة هذا الرجل الفاضل والشاعر المجيد على الصورة الآتية　(ل . ش)

قد امر الربُّ في انجيلهِ الطاهر ولهُ الامر المتبوع والكلام المسموع بألّا توقد السُّرج وتُجعَل تحت المكيال بل توضع فوق المنارة ليستضيء بنورها كلُّ من في البيت. وكذلك قد شاء الله عزَّ وجلَّ ان يقيم في كنيستهِ رجالًا عظامًا جعلهم ملحًا للارض ونورًا للعالم المسيحيّ فلا يحسن ان تَبقى ضياؤهم محجوبةً وافضالهم في زوايا النسيان مدفونةً. وممَّن متَّع الله بهم شرقنا العزيز ذلك الرجل الشهير بل الكوكب المنير الخوري نيقولاوس الصائغ الذي ادَّى لطائفتهِ اجلَّ الخِدَم وترك من بعدهِ آثارًا طيّبة فاح عطرها وانتشر ذكرها. غير انَّ ترجمة هذا الاب المفضال كانت حتى الآن مودعةً في بطن الاوراق لم يُروَ منها الَّا نبذة قصيرة لا تبلغ الصفحة الفرد ظهرت في مختصر تاريخ الروم الملكيين (ص ٤٩) ولمَّا كانت هذه اللمعة لا تروي غليلًا ولا تشفي عليلًا بادرنا الى تسطير هذه الترجمة اودعناها ما امكنَّا من اخبار هذا العالم المشهور علَّها تبعث في قلوب احد ابناء ملَّة الروم الملكيين الرغبة في ان ينقّبوا عن بقيَّة آثاره ويصنعوا لتخليد

ذكره سيرة مطوّلة يضمّنونها تفاصيل حياته مع اخبار الرهبانيّة الحنّاويّة التي كان احد جهابذتها وافرادها. وقد قسمنا هذه المقالة ثلاثة اقسام نبحث في القسم الاول منها عن اصل الخوري نيقولاوس واخباره الى يوم زهده في الدنيا وترهّبه. وفي القسم الثاني عن ترجمة حياته في الرهبانيّة ونختم القسمين بقسم ثالث نذكر فيه فضائله وآثاره

١ طفولية الخوري نيقولاوس وشبابهُ

قد ذكرنا غير مرّة في المشرق ما نالتهُ الشهباء من الفخر في ختام القرن السابع عشر واوائل القرن التالي اذ قام في ظهرانيها بين كلّ الطوائف الكاثوليكية رجال عظام امتازوا فضلاً وفضيلةً نهجوا لذوي ملّتهم طريقًا رحبة يسلكونها من بعدهم فتبلّغهم اوج العزّ والمجد. والخوري نيقولاوس الصائغ احد هؤلاء المشاهير الذين اصطفاهم البارئ في عنايته الصمدانية ليسعوا في هذه النهضة الادبية بين الطوائف الشرقيّة

وُلد هذا الفاضل رحمهُ الله في مدينة حلب في بعض شهور سنة ١٦٩٢ من والدين جمعا بين خيرات الدين والدنيا وكان اسم والده نعمة. او نعمة الله وعُرف بالصائغ لما كان يزاولهُ من صنعة الصياغة في بلده. وكان الابوان من طائفة الملكيّين راسخين في التُّقى وخوف الله وعلى ذلك ربّيا اولادهما. ولا نعرف من هؤلاء الّا ابنيهما نيقولا ويوسف (١ وقد توفي يوسف في عزّ شبابه سنة ١٧١٦ فرثاهُ الخوري نيقولا بقصيدة بليغة المعاني اودعها ارقّ العواطف تحتوي مئة بيت اوّلها:

خطبٌ مُريعٌ ثابتٌ لا يُصرَفُ وقضاء ربّ فهو لا يتصرَّفُ

وفيها يعزي اباهُ بقوله:

ابتاهُ ثِقْ بالله وارضَ بحكمهِ فهو الذي احكامهُ لا تُعرَفُ
فاحزَنْ على ابنك حُزنَ داود على آبشَلُومَ وما بذاك تكلُّفُ
فالاصل يُرجى بعد قطع فروعهِ ان تنبتَ الاغصانُ منهُ فيُخلِفُ

ورضع نيقولا منذ صغره افاويق الصلاح ونشأ على حبّ الفضيلة والديانة ووقعت

١) وفي ديوانه (ص٣٠٢) تاريخ لميلاد انطون بن موسى الصائغ سنة ١٧٥١. ولعلّ موسى احد اخوة صاحب الترجمة

تعاليم والديهِ في تربة جيّدة اثمرت بعد قليل اثمار البرّ والطهارة

وكان الولد مع تقواه متوقّد الفهم ذكيّ القلب كما هو الغالب على احداث الشهباء. فلمّا ترعرع جعلهُ والداهُ في احد المكاتب فاظهر من النباهة والميل للعلم ما حمل معلّميهِ على القول بانهُ سيكون من رجال وطنهِ المعدودين. على انّ والدهُ اذ رآهُ احرز مبادئ العربية اخرجهُ من المكتب ليعلّمهُ صنعتهُ. فجدَّ الولد في اتقانها وبرع فيها بعد زمن قليل الَّا انَّ قلبهُ منذ شبَّ كان مائلًا الى الحياة النسكية والزهد عن الدنيا وهذا ما كان يحدو بهِ الى ان يقضي اكثر اوقات فراغهِ في زيارة الكنائس واقامة الصلوات والتردُّد على الكهنة والعبَّاد

وكانت في غضون ذلك نشأت في الشهباء بين الطوائف الشرقيَّة تلك الحركة الكاثوليكيَّة التي أشرنا اليها مرارًا في المشرق (راجع المشرق ٢: ٤٤٢ و ٥: ٣٩٧ الخ) بهمَّة الآباء المرسلين وبعض رجال الصلاح. وقد نال الطيّب الذكر عبد الله زاخر صاحب التآليف الشهيرة ونيقولاوس الصائغ من هذه الحركة ما لا حاجة لذكرهِ هنا (١

ومع هذه النهضة الدينيَّة كانت حدثت نهضةٌ أُخرى ادبيَّة فانَّ بعض شبَّان الشهباء من الأُسر المعتبرة اتَّفقوا على ان يأخذوا العلوم اللسانيَّة من مناهلها ويجدُّوا في اقتباس الآداب. ولمَّا رأوا انَّ درس العربية بفروعها ضعيف عند اهل جلدتهم اتَّفقوا على ان يأخذوا اصول هذه اللغة من بعض شيوخ الشهباء المسلمين. ولم يكن اذ ذاك في حلب من يفوق في العلوم اللسانيَّة الشيخ سليمان الحلبيّ الشهير بالنحوي فقرأُوا عليهِ الصرف والنحو وتلقَّوا العلوم البيانيَّة ودرسوا العروض حتى نبغوا في تحصيل هذه العلوم بعد مدَّة. وكان اوَّل من سبقهم الى ذلك جبرائيل بن فرحات فخر زمانهِ وامام ملَّتهِ المارونيَّة وكان مولدهُ سنة ١٦٧٠. وتبعهُ ميخائيل حكيم الذي رُقّي بعد ذلك الى اسقفيَّة حلب وجلس على الكرسي الانطاكيّ بعد كيرلُّس طاناس. ثمَّ الشماس عبد الله زاخر صاحب التآليف الشهيرة وعبد الله قرأَلي المارونيّ الذي سُقّف على بيروت بعد ان صار رئيسًا عامًّا على الرهبانية المارونيَّة. ثمَّ مكرديج الكسيح

١) راجع المشرق (٣: ٢٦٠، ٦٨٠، ٧١٩ وحاشية ٩١٥)

الشاعر الناثر الارمنيّ ونعمة ابن الخوري توما الحلبي (راجع المشرق ٥:٣٩٦) . وكان آخرهم نيقولا الصائغ ولد من بعدهم فاقتدى بآثارهم. وكان الشيخ الذي اخذ عنهُ نيقولا يختصُّهُ بالعناية لما يرى من نجابتهِ وشدَّة حرصهِ على الدرس

وكان حينئذٍ في حلب احد الكهنة الافاضل من طائفة الروم الكاثوليك اسمهُ الخوري ميخائيل البجع كان درس في رومية العلوم العليا ونال فيها شهادة الملفان ثم عاد الى وطنه حلب حيث رُقّي الى درجة الايكونوموس. فرغب نيقولا الصائغ الى هذا الكاهن بان يلقّنهُ الرياضيات والعلوم الفلسفيَّة واللاهوتيَّة ليستعدَّ بذلك الى الكهنوت اذا ما تيسَّر لهُ يوماً ان ينتظم في سلك ارباب الدين. فاجاب الخوري ميخائيل الى سؤلهِ وانضمَّ الى نيقولا صديقاهُ ابن حكيم والشمَّاس عبد الله زاخر وانكبُّوا كلُّهم على هذه العلوم فاستقوا من مواردها العذبة ما امكنهم

وكذلك يؤخذ من رسالة كتبها في ذلك الزمان يوسف مارون الدويهيّ انَّ صاحب الترجمة تتلمذ مع الشمَّاس عبد الله زاخر لبطرس التولاوي فدرسا عليهِ الدروس اللاهوتيَّة

غير انَّ الاديب نيقولاوس لم يكن ليكتفي بتهذيب عقلهِ واحراز المعارف البشريَّة والدينيَّة وانَّما كان يشعر في قلبه ميلاً قويًّا الى عيشة التنسُّك والزهد ليتجرَّد عن العالم واباطيلهِ وينقطع لخدمة الله وحدهُ

وممَّا زادهُ في ذلك رغبةً مَثَلُ نخبةٍ من شُبَّان حلب كانوا خرجوا من وطنهم ورحلوا الى لبنان ليلبسوا فيه الاسكيم الرهبانيّ. كان بعضهم موارنةً كالقس جبرائيل فرحات وعبد الله قرا آلي وجبرائيل حوَّا. ذهبوا الى لبنان نحو سنة ١٦٩٥(١) وبعضهم روماً ملكيّين كالخوري جراسيموس والخوري سليمان سكنا اوَّلاً دير البلمند ثمَّ توغَّلا في لبنان فاحتلَّا دير القديس يوحنَّا الصابغ قرب قرية الشوير. فكان نيقولا يستطلع اخبار هؤلاء الزهَّاد ويُسرّ بما يبلغهُ عن عيشتهم النسكيَّة فيغبطهم على كونهم آثروا النصيب الاصلح. فجعل يبحث عن الطريقة المثلى لتبريد ظمإهِ واخماد لظى قلبهِ

١) وفي ترجمة حياة المطران فرحات انَّهُ ترهَّب سنة ١٦٩٤ الَّا انَّ قصيدتهُ الاولى التي في رأس ديوانهِ تاريخها سنة ١٦٩٢ ويقال عنها انهُ نظمها في حلب

وفي تلك الاثناء نحو سنة ١٧١٣ جاء الى حلب عائدًا من رومية القس جبرائيل فرحات لبعض الشؤون فاجتمع به نيقولا ووجد في صحبته ما زاده رغبةً في اقتفاء آثاره. وكان هذا الراهب الجليل يرشده ويحبّب اليه العيشة الرهبانيّة وجرت مذ ذاك الوقت بين المعلم وتلميذه صداقة كانت اواصرها تشتدّ مع الزمان. والى هذه العلائق يشير الخوري نيقولا في رثائه للمطران جرمانوس فرحات اذ قال:

امامي وذُخري بل غنائي ومقتني غنمتُ به غنمًا تجلُّ غنائمُهُ
فان كنتُ مَن يُلغي آلاءهُ فانني لظالمُ نفسي شرُّ ظالمٍ وظالمُهْ
وان يكفر الاحسان من ليس شاكرًا فاشبهُ بالكفران من هو كاتمُهْ
حلبتُ به وُسع الاناء معارفًا يُلازمني جُنح الدُّجى وأُلازمُهْ

ولعلَّ ابن فرحات هو الذي اقنع والدي نيقولا بان يدعا ابنهما يتبع دعوتهُ ويقطع الحبال التي تربطهُ بالعالم وهمومه

وفي سنة ١٧١٦ عاد القس جبرائيل فرحات الى لبنان حيث عهدت اليه رئاسة رهبانيّته العامّة. وفيها ايضًا خرج نيقولاوس صائغ للترهّب(١ ولا يبعد أنَّ كليهما رحلا معًا وسافرا برًّا. وما لا ريب فيه انَّ الشاب نيقولاوس زار قبل دخوله دير الشوير اديرة الجبَّة وجبل كسروان حيث وجد كثيرين من معارفهِ الحلبيين فكانت زيارتهُ لهم كبلسم على وجعهِ اذ بارح مسقط رأسه. ومع هذا تراهُ لا يزال يذكر وطنهُ العزيز ولولا حبُّهُ لربّهِ لما انفصل عنهُ البتَّة. وفي ديوانهِ ما يشهد على رقَّة هذه الشواعر كقوله:

يا حبَّذا حلبُ الشبهاءُ انّها ارضٌ تناهى حسنُها وجمازُها
رقَّت معانيها فرقَّ مديحُها مذ رقَّ منها صفوُها وصفاؤها
قد لذَّ فيها العيش عيشًا صافيًا اذ لذَّ منها ماؤُها وهواؤُها
قد طاب منها العنصران فطاب عُنـصـرُ اهلها ابدًا وصحَّ شفاؤُها
ومنها: تُغني الهمومَ غياضُها ورياضُها وحياضُها وغمارُها وغمارُهـا

---

١) كذا استفدنا من الاوراق المرسلة من دير الشير عن سنة دخول نيقولا الصائغ الرهبانيَّة الحناويَّة. وجاء في مختصر تاريخ الروم الكاثوليك (ص ٤٩) انهُ دخل الرهبانيَّة سنة ١٧٠٥ (اي قبل هذا العهد باحدى عشرة سنة) ولا نظنُّ هذا صحيحًا. وفي ديوانهِ (ص ١٨٠ و ٢٣٠) قصيدتان قالهما سنة ١٧١٦ وهو مبتدئ كما سيأتي

من كلّ قطر رادَها الوُرّاد فانـشدوا وقالوا اين هم اكنافُها
الله زدها عزّةً وهابةً حتّى تذلَّ لعزّها اعداؤُها

وبعد ان زار الاحباب ووطّد عزيتهُ على اقتصاص آثارهم وصل دير ابناء ملّته في الشوير. فكان وصولهُ اليهم كيوم عيد لما كانوا يعلمون من فضله وفضيلته. فرحبوا به واكرموا مثواهُ وزاد بهم فرحهُ اذ راوهُ لم يأتِ الدير فارغًا بل جاء بمالٍ كثير يريد حبسَهُ على الرهبانيّة فيسدّ بذلك حاجاتها ويتلافى فقرها المُدقع

٣ عيشتهُ الرهبانية

بعد ان اخذ نيقولاوس نصيبًا من الراحة اسرع الى الرئيس وهو نصر الله كرمة الحلبي المعروف في الرهبانيّة باسم الخوري نيكيفورس فطلب منهُ ان ينظمهُ في سلك الطالبين فاجاب الى دعوتهِ بطيب الخاطر. ومنذ ذاك الحين وجّه المبتدئ الحاظهُ الى الكمال فانقطع الى كل الرياضات التي يُروَّض بها طلبة الرهبانيّات كاعمال الاماتة والتواضع والتفرّغ للاصوام والصلوات والشغل اليدوي. وقد قال في ذلك الوقت اوّل شعرهِ منهُ قصيدة طويلة يعاتب بها نفسهُ ويزجرها عن السيئات اوّلها:

خطاؤك وافرٌ بالوزر طامٍ وطبعُكَ نافرٌ منذ الفطامِ

ولهُ قصيدة أُخرى حسنة انشدها حينئذٍ يصف فيها الراهب الصالح وما يقتضي عليه من اعمال النسك ليكون اهلًا بدعوتهِ اوّلها:

يا طالبًا نسكًا خذْ بْ قبل ان تُدعى بناسكْ

ومن يطّلع على ما اودع الشاعر نظمهُ من المعاني الروحيَّة ووصف الكمال الرهباني يتحقّق بان المبتدئ الجديد بلغ بعد زمن قليل من البرّ والقداسة ما لا يناله غيرهُ الّا بعد الرياضات الطويلة والممارسات المتعدّدة

وكان نيقولاوس يحبُّ في أيّام ابتدائهِ مطالعة كتاب الاقتداء بالمسيح ويغذي نفسهُ باقاويل هذا التأليف الذهبيّ المتضمّن زبدة الكمال في صفحات قليلة. وقد نظم بالشعر بعض شذراتهِ (راجع ديوانهُ ص ١٠٥ و ١٨٢ و ٢٣٤ الخ)

وما مضى على نيقولاوس شهور قليلة بعد دخولهِ في الدير حتى شاب قلوب الرهبان

جميعاً وجذبها الى حبهِ لما رأوهُ فيهِ من التقوى ودماثة الاخلاق والحبّ الاخوي والتواضع مع رسوخهِ في العلوم التي لم تكن لتنفخ قلبهُ ·

وكان الرئيس يشكر الله على هذا الكنز الثمين الذي اغنى بهِ رهبانيّتهُ وكان لا يبتُّ حكماً الّا استشارهُ ورجع الى نصائحهِ· ولمّا مرَّ الوقت المعيّن لنذوره ابرز بين يدي رئيسهِ النذور الثلاثة البسيطة الفقر والعفّة والطاعة ولهُ في وصفها الابيات المستجادة (راجع ديوانهُ ص ١٠١ و ١٣٦)

وبعد ثلث سنوات من دخولهِ في الرهبانيّة اتّفق الجميع على رسامتهِ شمّاساً ثمَّ قسّاً وذلك سنة ١٧١٩ سامهُ السيد سلفسترس الدهّان مطران بيروت وكان ذا غيرة على الايمان الكاثوليكي محبّاً للرهبانيّة الشويريّة (١

ومن آثارهِ في تلك السنة انهُ انفق من مالهِ الخاص وبنى كنيسة الدير القائمة على اسم القديس نيقولاوس شفيعهِ (وفي ديوانهِ تاريخها) وشيّد خمس قلالي مجاورة لها

وبعد سنة من سيامتهِ انتُخب مدبّراً ثانياً للرهبانيّة وذلك في ١ حزيران سنة ١٧٢٠. فكان اوّل همّهِ ان يجعل نفسهُ مثالاً لاخوتهِ في ممارسة كل الفضائل المسيحيّة. وفي شعرهِ صدًى لهذه الافكار المقدّسة وممّا نظمهُ في ذلك الوقت وصفهُ للراهب الفاتر وتحريضهُ اخوتهُ على حبهِ تعالى (راجع ديوانهُ ص ١٨١) وذمّهُ للتنزُّل (ص ١٨٥).

ولمّا استنشدهُ احد اخوتهِ قصيدةً يبعث بها الى بعض خلانهِ في الديار المصريّة تهنئةً لهُ بالزواج استهلَّ قصيدتهُ بهذه الابيات:

كمْ التهاني فالزواجُ جميلُ ... لكنّما ثوبُ العفاف جليلُ
قد كنتُ اهوى ان ارى كلَّ الورى ... مثلي فهل لذوي الجهادِ مثيلُ
فالارضُ عِلاها التاجُ وعِلا ال ... ملكوتَ رهطٌ عاش وهو بتولُ
التابع الحَمَلَ الذبيحَ وشأنهُ ... لطهورهِ التقديسُ والترتيلُ
سرٌّ تشرَّف في ولادةِ مريمٍ ... قد زانَ هامَ أُهيلهِ الاكليلُ

---

١) وعليهِ فيكون قول صاحب مختصر تاريخ الروم الكاثوليك (ص ٤٩) في ان الخوري نيقولاوس ارتسم كاهناً سنة ١٧١٢ غير سديد. لانَّ عمرهُ في تلك السنة كان عشرين عاماً ولا يجوز للكاهن الكاثوليكي ان يكهّن في سنّ العشرين. ثمَّ مرَّ قولنا بانهُ دخل الرهبانيّة سنة ١٧١٦ ولم يكن بعد كاهناً

وكان الخوري نيقولاوس مع حرصهِ على قداسة نفسهِ غيورًا على كمال اخوتهِ يحثّهم ما امكنهُ على الترقي في كل اسباب البرّ. وكان مع ذلك يتلهّب غيرةً على الايمان الكاثوليكي يسعى غاية امكانهِ في نشرهِ والدفاع عنهُ لا يهاب في جانب الله كبيرًا ولا صغيرًا حتى شاع اسمهُ في انحاء سوريَّة

وفي تلك الاثناء فرغ كرسي حلب بارتقاء السيد اثناسيوس الدبّاس الى الرتبة البطريركيَّة خلفًا لكيرلُّس الخامس المتوفَّى في العشر الاول من سنة ١٧٢٠. فطلب الحلبيُّون الى البطريرك ان يسقّف عليهم الخوري نيقولاوس وكاتبوهُ في ذلك الَّا انَّ تواضعهُ ونفوره من المناصب العليا حملاهُ على رفض الاسقفيَّة فأقيم بدلًا منهُ احد اخوتهِ الرهبان وهو الخوري جراسيموس وذلك في ٢٦ ك ١ سنة ١٧٢٠

وفي ٢٣ نيسان من السنة صار في دير القديس يوحنَّا السابق اوَّل مجمع عام للرهبانيَّة. وفيهِ نذر الاب العام الخوري نيكيفوروس مع بقيَّة المدبّرين والرهبان النذور الاحتفاليَّة وهي الفقر والطاعة والعفَّة ومذ ذاك ابتدأت في الرهبانية النذور الاحتفالية. وزادوا نذرًا رابعًا وهو الاتضاع ابرزوهُ مدَّةً مع النذور الثلاثة الى ان تثبَّتت فرائض الرهبنة فأُبطل

وبعد انتهاء المجمع عهد اليهِ رئيسهُ ان يتفقَّد اديرة الرهبانيَّة ويصلح ما بها من الخلل وكانت هذه الاديرة ثلاثة دير مار اشعيا القريب من برمانا ثم دير مار الياس محيدثة ودير السيّدة في راس بعلبك. وقد كابد في مهمّتهِ هذه مشقَّات كثيرة من قبل بعض المنفصلين الذين اثاروا عليهِ غضب البطريرك اثناسيوس وعاكسوهُ في اعمالهِ الخيريَّة. وفي ديوانهِ (ص ٢٣٩) ما يُشعر بهذه المحن التي قاساها خصوصًا من قبل احد الرهبان الذين خدعهم الطمع بالرئاسة فجحدوا الايمان الكاثوليكي ولاذوا باهل الدنيا لترويج مطامعهم. لكنَّهُ اثابهُ الله تحمَّل كل هذه المحن بالصبر الجميل مستسلمًا اليهِ تعالى واثقًا بعنايتهِ فهو مع ذلك يهيم متشوّقًا الى دير مار يوحنَّا ووادِيهِ واخوتهِ وقد كتب حينئذٍ (راجع ديوانهُ ص٢٣٥):

يا نسيم الصبا تحمَّل سلامي ثمَّ بلِّغ تحيَّة المُستهام
ذلك الوادي الخصيب صباحًا ورُباهُ المنيفة الاكرام

وفي هذه القصيدة يصف كثيرًا من احوال الرهبان الشويريين في مناسكهم

وعباداتهم بشعر منسجم يسيل رقّة ولطفًا:

ليس فيهم وان دجا الليل كابٍ ... غافلُ اللحظ عاثرُ الأقدامِ
لابسين الحداد فوق جسومٍ ... شفَّ من تحتها نحيفُ العظامِ
لهمُ البرُّ والعفافُ وشاحٌ ... غير مُستردمٍ مدى الايامِ
منطقتْ حقوَهم مناطقُ نسكٍ ... اكسبتهم طهارة الاجسامِ
توَّجتهم قلانسٌ واقياتٌ ... خلتها مغفرًا على كلّ هامِ

الى ان قال: ان ترُمْ جنَّة النعيم بارضٍ ... نُعمت من خصائص الإنعامِ
ملكوتٌ يضمُّ كلَّ طهورٍ ... ماكرهُ ملائك السلامِ
فهو دير المخلّص مار يُحنَّا ... والنبي الكريمِ نسلِ الكرامِ

ولمّا انهى الخوري نيقولاوس المهمّة التي وكلها اليهِ رئيسهُ عاد الى دير الشوير في سنة ١٧٢٢. وفيها منحهُ الله فرحًا عظيمًا بقدوم صديقهِ المُخلص الشماس عبد الله زاخر من حلب الى لبنان هاربًا من اعدائهِ وكان نزل في زوق مكائيل فاجتمع بهِ الخوري نيقولا ونشَّط عزائمهُ وحرَّضهُ على اتمام المشروع الذي فكَّر فيهِ وهو انشاء المطبعة التي نُقلت بعد ذلك الى الشوير. وللخوري نيقولا قصيدة عامرة الابيات يمدح فيها صديقهُ ويعزّيهِ في التجارب المتعدّدة التي ألمّت بهِ من قبل الشاقّين اوّلها:

لَعَمرُكَ انَّ الصبرَ غايتهُ القدرُ ... وحسبُكَ قدرٌ من خلائقهِ النصرُ

ومنها: فبالله من قد عاف خدنًا وموطنًا ... لهُ الله خدنٌ والسماءُ لهُ خدرُ
وقالوا تخيَّرْ ألنفاقَ ام الثوى ... فقلتُ ألا واللهِ خيرٌ ليَ الهجرُ
فلا خيرَ في دارٍ وان قد ألفتَها ... تبارى بها الاضلالُ والضرُّ والمكرُ

وفي سنة ١٧٢٣ في ١١ أيّار قُلّد رئاسة دير مار يوحنّا فضاعف همّتهُ وافرغ كل مجهودهِ في تحسين احوالهِ المادّيّة والادبيّة. وكذا فعل في دير مار اشعيا في السنة التالية لمّا أُقيم عليهِ رئيسًا بدلًا من الخوري جناديوس. وكأنَّ الله انتدبهُ الى رئاسة هذا الدير ليقدّم لاخوتهِ الرهبان مأوى وملاذًا لمّا ثارت عليهِ وعلى اخوتهِ ثوائر المنفصلين فانَّ سلفستروس الدخيل لمّا رأى ما للرهبان الشويريين من المساعي المبرورة وانّهم بارشاداتهم ومواعظهم وتعاليمهم يرشدون كثيرين الى الحقّ ناصبهم في اعمالهم وتمكّن من نفيهم من اديرتهم حتى دير مار يوحنّا الصابغ ودير مار الياس محيدثة فاضطرَّ الرهبان ان يجتمعوا كلّهم في دير مار اشعيا حيث استقبلهم الخوري نيقولا بحنوّ الاب لاولادهِ الاعزاء. واجتهد في ان يخفّف عليهم بلطفهِ ومحبّتهِ أعباء هذه المحن وكان الرهبان مع هذا

في ضيق عظيم يجتمع خمسة او ستة منهم في قلالي صغيرة لا تزيد على عشر اذرع مربعة مع انَّ هذا الرئيس الهمام كان زاد على القلالي القديمة ثماني غرف شيَّدها لهذه الغاية ·

وقد نال الرهبان من الضنك والجوع والعري ما لا يصفهُ قلم· امَّا الخوري نيقولا فانهُ تأثر من حالة اخوتهِ تأثيرًا عظيمًا وهو يعدُّ اوجاع كل واحد منهم كاوجاعهِ الخاصة وقد بلغ بهِ ذلك الى أن اصيب بحمَّى خبيثة كادت تذهب بحياتهِ الثمينة لولا انَّ الله حنَّ على ابنائهِ وردَّ لهم اباهم بعد ان يئسوا من شفائهِ· وما ابلَّ من مرضهِ حتى قام وطرق ابواب الامراء اللمعيين في صاليما ودخل على الامراء الشهابيين وبيَّن حقوق رهبانيَّتهِ حتى رجعوا لهم الاديرة المسلوبة· وما اكتفى بان يهتمَّ بشؤون رهبانيَّتهِ بل خدم الرهبان اللبنانيين بان نال لهم من الامير حسين واولادهِ في صاليما دير سيدة طاميش· وفي ديوانهِ قصائد نظم قلادتها في ذلك الوقت مادحًا بها الامراء اللمعيين منها قصيدتهُ الدالية التي اوَّلها :

العدلُ يبني والامان يشيِّدُ والجورُ يفني والهوانُ يبدِّدُ

وفي سنة ١٧٢٧ اتفقت اصوات اخوانهِ الرهبان على ترقيتهِ الى الرئاسة العامَّة على جمعيَّتهم· ومع كونهِ لم يحبَّ الرئاسة والترفُّع لم يرَ بُدًّا من التلبية لمشيئتهِ تعالى فباشر هذه الرتبة بما طُبع عليهِ من النشاط والغيرة وقصارى غايتهِ ان يزيد شعب الله فضلًا وصلاحًا· وقد بقي في هذا المنصب اربع سنوات توالت عليهِ في اثنائها المصائب وابتُلي بضروب الاكدار فانَّ سلفستروس البطريرك الدخيل وحزبهُ ما علموا بانتخاب الخوري نيقولا رئيسًا عامًا على الرهبان الشويريين حتى تصدَّوا لهُ ونصبوا لهُ المكايد واذاقوهُ الموت الوانًا· فانهم ضربوا الاخماس بالاسداس وبذلوا النفس والنفيس في احباط مساعيهِ وانتزاع الاديرة من ايدي رهبانهِ فنجحت مكايدهم وفاز سهمهم فهجموا على دير مار يوحنَّا ليلًا وطردوا منهُ رهبانهُ فعادوا الى دير مار اشعيا منتظرين بفروغ الصبر ان يُسرّي الله عنهم· لكنَّ الخوري نيقولاوس لم يخُرْ عزمًا ولم يضعف نفسًا فانهُ عاد الى حكَّام لبنان واوقفهم على ظلم اعدائهِ فاقرُّوا بحقوق جمعيَّتهِ واجبروا المغتصبين على ردّ المسلوب بعد شهرين· فقال في شكر ناصرهِ الامير حيدر الشهابي قصيدتهُ التي اوَّلها :

أضحي وابصاري تنضُّ وتُبصر وتبيتُ افكاري تصوغ وتَكسِرُ

ولهُ ايضاً قصيدة يمدح بها القاضي عبد اللطيف الذي حكم لهُ ولرهبانهِ اوَّلها:

محتدُ المجد والعلاء المنيف سِدرة الفخر ذا المقام الشريف

وبينما كان يهتمّ بامور رهبانهِ بغيرة لا تعرف الملل امتحنهُ الله ثانية بمرض عُضال سرى اليهِ بخدمتهِ لاحد رهبانهِ وهو الاب بروكوبيوس الطبيب. وكان هذا دُعي الى تمريض قرينة الامير عسَّاف ابنة الامير حيدر في صاليما وكان داؤها معدياً فانتقل اليهِ المرض ومنهُ الى الخوري نيقولاوس وتفاقم الداء حتى ساقهُ الى ابواب المنون. فعلم الشماس عبد الله زاخر بثقل مرضهِ وكان وقتئذٍ في الزوق فاسرع الى الاب يعقوب الراهب اليسوعي المتطبّب في عينطورة وطلب منهُ ادويةً منحهُ الله بها الشفاء التام

وفي سنة ١٧٣٠ طلب صاحب الترجمة من المجمع الملتئم في دير مار يوحنا ان يُعفى من الرئاسة على الرهبانيَّة فأُجيب الى الحاحهِ بعد ان رفضوا طلبهُ غير مرَّة (١ وانتُخب الخوري مكسيموس حكيم. لكنَّهُ لم يُعفَ من عدَّة مهام أُنيطت بهِ كالمدبريَّة ووكالة دير المخيدثة. وفي ايلول من السنة التالية أُقيم وكيلاً عامًّا وثانياً عن الاب العام الذي تفرَّغ عن الرئاسة

وممَّا سعى فيهِ في تلك الاثناء فتحُ دير للعابدات على اسم سيدة البشارة في الزوق فاشترى هناك مزرعة سنة ١٧٣٢ وبنى فيها ديراً جعل فيهِ الراهبات. وشاركهُ في هذا العمل صديقهُ الشماس عبد الله زاخر. الَّا انهُ لقي في سبيل هذا المشروع من المشاكل ما يطول شرحهُ هنا ودام الامر الى سنة ١٧٤٨ حيث ازال الكرسيّ الرسوليّ تلك العقبات واعاد الصلح بين ابناء الكنيسة

وفي ١٢ ت ٢ من السنة ١٧٣٢ عُقد مجمع عام في دير النبيّ اشعيا فقلّد الخوري نيقولاوس الرئاسة العامَّة ثانيةً فعاد اليها بنشاطهِ المألوف وتجرُّدهِ المشهور وبقي في هذا المنصب الى آخر حياتهِ في سنة ١٧٥٦ وهو يتفانى في خير اخوتهِ ويتلهَّب غيرةً على ترقيهم في البرّ والآداب

وفي سنة ١٧٣٤ اظهر غبطة البطريرك كيرلُّس طاناس الكاثوليكيّ الانطاكيّ رغبتهُ في توحيد الرهبانيَّتين الشويريَّة والمخلصيَّة. لكنَّ الخوري نيقولاوس بعد مفاوضة

١) وعليهِ فلا يصحّ ما جاء في مختصر تاريخ طائفة الروم الملكيين (ص ٣٧) ان الخوري نيقولاوس اقام في الرئاسة من سنة ١٧٢٧ الى ١٧٥٧

آباء جمعيّته لم يرَ في هذا الاتحاد صلاح الرهبانيّتين لما كان بينهما من التباين في الروح والعادات والطرائق النسكيَّة فعرض على البطريرك رأي رهبانه وتمَّمهم وظلَّ يدافع عن حقوقهم الى ان حظيت ملاحظاتهُ قبولاً عند مرجعها الاعلى

وبسعيهِ ايضاً منح الحبر الاعظم اكليمنضوس الثاني عشر الرهبانيَّة الشويريَّة مقاماً في عاصمة الكثلكة. فان الخوري نيقولاوس كان ارسل في سنة ١٧٣٣ الابوين نكتاريوس ميره وبروكوبيوس الطبيب الحلبيّ باسم الرهبانيَّة واصحبهما بتحارير منهُ ومن السيد مكسيموس حكيم الراقي حديثاً كرسيّ اساقفة حلب ومن الاب بطرس فروماج اليسوعيّ ومن بعض الآباء الكبوشيين. فاحسن الاب الاقدس وفادتهما وشملهما بنظرهِ الابوي وتكرَّم على الرهبانيَّة بكنيسة سيدة السفينة كما شرح ذلك في المشرق (٤: ٥٦٦) سيادة الارشيمندريت الكسيوس كاتب واقام لها كردينالاً محامياً وهو اينوشنسيوس بتره في ١٨ ك ٢ سنة ١٧٣٥

واعظم خدمةٍ اداها الخوري نيقولاوس في تلك الاثناء لرهبانيَّتهِ انهُ وضع قوانين الرهبانيَّة الشويريَّة مستنداً فيها الى قوانين الآباء الاقدمين وخصوصاً القديس باسيليوس الكبير وارسلها الى رومية سنة ١٧٤٧ مع الابوين يوحنَّا النقَّاش الدمشقي وتوما كرباج الحلبيّ فاثبتها البابا بناديكتوس الرابع عشر بعد الفحص المدقَّق في سنة ١٧٥٧ وبراءة التثبيت مطبوعة في صدر كتاب القوانين. ثم اثبت ايضاً البابا نفسهُ قوانين راهبات دير سيدة البشارة سنة ١٧٦٣ وهي ايضاً من تأليف الخوري نيقولاوس

وكانت السنون الاخيرة من حياة هذا البارّ ايام هدوء وسلام افرغ غاية جهدهِ لتحسين امور رهبانيَّتهِ مادياً وادبياً. وقد اتاح لهُ الله في سنة ١٧٥١ ان يتبرَّك بزيارة الاماكن المقدَّسة وشفاء غليله بروية الارض المرتوية بدم مخلصهِ يسوع الحبيب. ثم رجع الى دير الملاك ميخائيل في الزوق وهو لا يزال يكدّ ويتعب ويعظ حتى اوائل الشهر كانون الاوَّل من سنة ١٧٥٦ فاجتمع في اثنائهِ الرهبان لمجمع عام فاستقال الخوري نيقولاوس وطلب منهم ان يعفوهُ فلم يقبل اصحاب الاصوات استقالتهُ فلمَّا رآهم لا يصغون الى توسّلاتهِ قال لهم: ان لم تعفوني انتم فالله نفسهُ يعفيني. قال ذلك كأن الامر أوحي اليهِ من قبل الله. وفي غد ذلك النهار وهو اليوم السابق لحفلة المجمع حضر تلاوة الفرض وقدَّم الذبيحة الالهيَّة وبعد الشكر صعد الى غرفتهِ بتمام الصحة ودعا متقدّمي

الرهبان واوصاهم وصاياهُ الاخيرة كأنهُ يودّعهم الوداع الاخير. وفيما هو يكلمهم شعر في جسمهِ بضعفٍ عقبهُ حمّى شديدة فتقبّل الاسرار المقدّسة بكل ورع وخشوع ومُسح المسحة الاخيرة بيد السيد اثناسيوس دهّان مطران بيروت خلف السيّد سلفسترس الدهّان والذي صار بعدئذٍ بطريركاً وتسمّى ثاودوسيوس. وكان الرهبان في غضون ذلك قد اجتمعوا عند فراشهِ فاخذ المحتضر يودّعهم ويحرّضهم على الثبات في دعوتهم والمحافظة على واجباتهم الرهبانيّة وباركهم ثم امسك بيدهِ الصليب المقدّس وقبّلهُ وضمّهُ الى صدرهِ واسلم الروح بكل سكينة وذلك في ١٧ كانون الاول من سنة ١٧٥٦

وهنا حدّث بحزن اخوتهِ ولا حرج فانهم بكوهُ بكاء اعزّ الآباء. ولم يكادوا يقبلون تعزيةً لولا معرفتهم انّ الله دعا اليهِ عبدهُ الامين ليكافئهُ عن اتعابهِ ويقيمهُ شفيعاً لهم يتقرّبون بهِ الى عرش جلالهِ

وقد احتُفل بجنازتهِ احتفالاً عظيماً مهيباً حضرهُ كلّ سكّان قرية الزوق والقرى المجاورة واودع جسمهُ الطاهر في ضريح فوق ضريح السيد جراسيموس مطران حلب في كنيسة دير الملاك ميخائيل

٣ بعض مآثر الخوري نيقولاوس الصائغ

سطّرنا في الصفحات السابقة ملخّص حياة رجل الله الخوري نيقولاوس الّا اننا لم نذكر من مآثرهِ الّا النزر الزهيد وكنّا نودّ لو نفرد لهذه الاعمال باباً مستقلاً لولا ضيق المقام فنكتفي بالاشارة الى شيء منها ونبتدئ بذكر بعض فضائلهِ التي ازدان بها في حياتهِ

١ (فضائلهُ) قد نوّهنا في ترجمة حياتهِ الى كثير من الفضائل السامية التي مارسها. وممّا خُصّ بهِ محبّة عظيمة للربّ الالهِ تراهُ يتغزّل في كمالاتهِ ويصبو الى جلالهِ ويصف في شعرهِ سرّ ثالوثهِ غير المدرك وانبثاق الروح الاقدس (ص ١٤٥ من ديوانهِ) وتجسّد الابن الوحيد مع ذكر اطوار حياتهِ على الارض من ميلادهِ الى موتهِ (ص ٥٨، ١٣١، ١٥٧، ٢١٧ الخ) وسرّ قربانهِ الاقدس الذي وصفهُ بابدع الصفات في مقصورة يحقّ لها ان تُرقم باحرف ذهبيّة (ص ٢١٤) وافاض في مناقب والدة الله التي كان متعبداً لها واثقاً بمراحمها وقد مدحها منذ دخولهِ في الرهبانيّة بشعرهِ الرائق (ص ٣٢، ٤١ الخ)

ومن محبتهِ هذه المتقدة لربّهِ نتجت محبّة أُخرى رسخت في قلبهِ رسوخ الجبال تزيد محبّتهُ للكنيسة الكاثوليكية واعتصامهُ بالصخرة البطرسيّة فلا تكاد ترى صفحةً من

ديوانهِ الّا اودعها ما كان صدره يكنّهُ من عواطف الحبّ والاخلاص لهذه الكنيسة ولاحبارها المعصومين عن الضلال في التعليم الديني. وتراهُ بخلاف ذلك يتتبّع الشقاق يهجوهِ ويندّد بزعمائهِ ويكشف معايبهُ ومضارّهُ ولهُ في ذلك من التفنّن ما يقضي لهُ بالعجب. ويلحق بهذا الباب قصائد قالها في بعض ضحايا الشقاق كابراهيم الدلّال (ص ٨٠) والقس بطرس الحلبي (ص ٢٥٩)

٢ (ابنيتهُ) لهذا البار ابنية عديدة شيّدها من مالهِ الموروث واهداها للرهبانيّة الشويريّة. منها ما ذكرناهُ سابقاً كبيعة القديس نيقولاوس في دير مار يوحنّا وقلالي دير مار اشعيا ودير راهبات البشارة في الزوق. وقد اوقف في سنة ١٧٢٦ على دير مار اشعيا ارضاً زُرعت توتاً. وممّا شُيّد بسعيهِ من مال الرهبانيّة دير الملاك ميخائيل ثمّ بنى لهُ رواقاً في سنة ١٧٥١. وفي سنة ١٧٣٤ رمّم دير مار يوحنّا ووسّعهُ. وفي سنة ١٧٥٠ اشترى من الشيخ شاهين تلحوق ارضاً موقعها قرب مكين عمّر فيها ديراً على اسم القديس الشهيد جاورجيوس. وعُرف الدير بدير الشير لموقع بنيانهِ. وهو اليوم دير كبير مشهور بغزارة مائهِ وجودة هوائهِ ونضارة غياضهِ. وفي سنة ١٧٥١ اصلح دير النبي اشعيا وبنى قبّة جرسهِ. واشترى في زحلة ارضاً عمّر فيها ديراً على اسم القديس الياس المكنّى بالطوق وهذا كان خاتمة ابنيتهِ رحمهُ الله رحمةً واسعة واجزل ثوابهُ

٣ (تآليفهُ) اشهر تآليف الخوري نيقولاوس ديوانهُ المشهور الذي طُبع اوّلاً في مطبعتنا سنة ١٨٥٩ على علّاتهِ ثم نظر فيهِ الشيخ ابراهيم اليازجي واصلح شيئاً من شوائبهِ فطُبع بعد ذلك ستّ طبعات متوالية. وقد كانت في الطبعة الاولى نحو عشر قصائد أُخَر منها ارجوزتهُ في الصلاة ضرب المصلح عنها صفحاً لبعض ركاكة في نظمها. وما لا ينكرهُ احد انّ شعر الخوري نيقولاوس رقيق المباني بليغ المعاني كثير التفنّن لهُ في المديح والرثاء والتهاني والتاريخ وجميع الفنون الشعريّة ما يشهد لهُ بطول الباع وسموّ القريحة ولهُ البديعيّة الحسنة في مديح السيّد المسيح ورسلهِ الاطهار في ١٥٦ بيتاً ومن تآليفهِ ايضاً القرائض الرهبانيّة التي سبق ذكرها وقد اثنى عليها البابا اكليمنضوس لمّا اثبتها. وممّا افادنا حضرة الاب قسطنطين باشا انّ للخوري نيقولاوس كتاباً كبير الحجم يتضمّن مواعظ على مدار آحاد السنة والاعياد يوجد منهُ نسخة في مكتبة عين تراز. ولهُ تآليف أُخرى أُحرقت في سنة ١٨٦٠ بعين الدوق في زحلة مع كتب عزيزة الوجود

كان استعارها من دير الشير السيد باسيليوس شاهيات الحلبي اذ كان اسقفاً على زحلة. فذهبت هذه الكنوز الثمينة ضحيَّة النار

هذه بعض مآثر الخوري نيقولاوس الصائغ دوَّنَّاها هنا ليأتسي بها ابناء الرهبانيَّة الباسيليَّة ولعلَّ هذه الخلاصة تبعث في بعض كتبتهم الرغبة في ان ينشروا ما بقي مطويًّا من اخباره

رسالة في وحدانيَّة الخالق وتثليث اقانيمه

تأليف ايليَّا مطران نصيبين

عُني بنشرها الاب لويس معلوف اليسوعيّ

توطئة

انَّهُ لمن المقرَّر لدى العلماء العارفين بالآداب النصرانيَّة ان صاحب كتاب دفع الهمّ ايليَّا النصيبيني قد ترك للسلف فيما تركهُ من التآليف الشائقة مقالةً في وحدانيَّة الخالق وتثليث أقانيمهِ. وكنَّا مع مَن عام بآثار العرب ووقف لاحيائها جُلَّ اتعابهِ نتأسَّف على انَّ يد الدهر اغتالت تلك الدرَّة الثمينة (راجع المشرق ٥ : ٢٤٠)

بيد ان الله يسَّرنا الى الاكتشاف عنها فيما دُفن من الدفائن في مكتبة اكسفورد الشهيرة بل قُل فيما حُفظ كثمين اللآلي في ذلك المتحف البُدْلاني الكريم. وجدتُها ضمن مجموع لم اعهد لهُ شبيهاً في المكاتب الاوربيَّة وقد وصفهُ بعض الوصف صاحب فهرست تلك المكتبة في الجلَّد الاوَّل منهُ تحت عدد ٣٨ (Hunter. 240). وهذا المجموع يحتوي على عدَّة تآليف او مقالات يبلغ عدد صفحاتها ٢٦٠ صفحة. امَّا مضامين هذه المصنَّفات فهي كما ترى: ١ً في اوَّل الكتاب تقويم السنة القبطيَّة. ٢ً شرح الامانة. ٣ً كتاب درياق العقول في علم الاصول للقسّ رشيد ابي الخير ألَّفهُ سنة ١٠٧٢ م على ما ورد في الفهرست الباريسيّ. ومنهُ نسخ معهودة في مكاتب شتَّى. وفي خزانة كتبنا الشرقيَّة منهُ نسخة منقولة عن دير القديس يوحنَّا الصابغ في الشوير. ٤ً المقالة الاولى لبولس البوشيّ اسقف مصر في معرفة الاله المتجسّد من القياس العقليّ. ٥ً المقالة الثانية لابي الفرج عبد الله بن ابي الطيّب في التثليث والتوحيد. ٦ً مقالة ليحيى النحويّ في الدلالة على حدث العالم. ٧ً مقالة لحنين بن اسحاق في حقيقة الاديان وكيفيَّة ادراكها. ٨ً كلام للآباء الفضلاء في اصناف سياسة البارئ. ٩ً ذكر اجتماع مطارنة الطوائف عند بعض الوزراء بالمشرق ١٠ً مقالة ايليَّا الأشلّ مطران حمص. يذكر فيها اسباب تنازلهِ عن الاسقفيَّة ويتطرَّق من ذلك

الى التكلّم عن شرف وعظمة الكهنوت. ١١ٌ رسالة ايليأ مطران نصيبين التي ننشرها هنا. ١٢ٌ مقالة لهُ ايضاً في نعيم الآخرة. ١٣ٌ مقالة في الزنا. ١٤ٌ مقالة لساويروس بن المقفع. ١٥ٌ كتاب آداب الكنيسة مما شرحهُ ابو إسحق ابن ابي الفضل ابن العسال. ١٦ٌ شذرات من كتاب الشفاء لابن سيناء ثمّ ادعية

ولمّا كان كتاب درياق العقول اوسع تآليف هذا المجموع قد وسمهُ الجامع باسمهِ في النسخة الاوكسفوردية التي تاريخها سنة ١٥٩٦ وعندنا ان هذا التاريخ لا يصحّ الّا على قسمٍ منهُ لانّ في المجموع خطوطاً مختلفة منها ما هو اقدم من هذا العهد. وكذلك ورق الكتاب ترى بعضهُ شبيهاً بورق المخطوطات التي سبقت القرن السادس عشر والله اعلم

اما مقالة ايليا النصيبيني فهي كدرَّة من دُرر الآداب النصرانية هذا نصُّها:

سأل فيلسوف يهودي من اصحابي ادام الله توفيقهُ ان اذكر لهُ اعتقاد النصارى في الباري تعالى وما معنى قولهم انهُ جوهر واحد ثلثة اقانيم وانا ذاكر ذلك حسب ما رُسم واقول:

نحن معشر النصارى نعتقد أيد الله الفيلسوف انّ الباري جلّت قدرتهُ واحد لا اله الّا هو وانهُ كيان واحد ثلثة اقانيم. فان قال قائل من الموحّدين: ما حملكم ان تقولوا انهُ كيان ثلثة اقانيم وما معنى ذلك؟

قلنا قد اتفقنا والموحّدين على ان الباري تعالى واحد وليس يخلو هذا الواحد ان يكون قائماً بنفسهِ او موجوداً في غيره مثل الاعراض. ومن المحال ان يكون موجوداً في غيره فهو اذن قائم بنفسهِ. وليس يخلو هذا القائم بنفسهِ ان يكون حيّاً او غير حيّ ومن المحال ان يكون خالق الحياة غير حيّ فهو اذن حيّ. وليس يخلو هذا القائم بنفسهِ الحيّ ان يكون حكيماً او غير حكيم ومن المحال ان يكون خالق الحكمة غير حكيم فهو اذن حكيم. فقد ثبت ان الباري جلّت قدرتهُ قائم بنفسهِ حيّ حكيم والسريانيون يسمّون كل موجود هو قائم بنفسهِ بالسريانية كياناً (١ قديماً كان ذلك الموجود او محدثاً اذ كان حدّ الكيان عندهم هو القائم بنفسهِ. ولمّا كان الباري جلّت قدرته حيّاً حكيماً وكان لا حيّاً الّا بحياة ولا حكيماً الّا بحكمة ثبت ان الباري تعالى كيان واحد من حيث هو قائم بنفسهِ حيّ بحياتهِ حكيم بحكمتهِ

---

١) يريد بالكيان (ܟܝܢܐ) جوهر الذات الالهيَّة وطبعها الروحانيَّة البسيطة مع قطع النظر عن صفاتهِ تعالى عزَّ وجلَّ

ولما كانت ذاتهُ غير قابلة للاعراض بطل ان تكون حياتهُ وحكمتهُ عرضَين وكل ما ليس بعرَض فهو امَّا كيان واماً اقنوم. ولمَّا بطل ان تكون ذات الباري تعالى وحياتهُ وحكمتهُ ثلثة اكيان او ثلثة اعراض ثبت انَّها ثلثة اقانيم

ونقول ان الله هو كيان واحد ثلثة اقانيم. فقولنا "كيان واحد" عبارة عن القائم بنفسهِ وقولنا "ثلثة اقانيم" عبارة عن الذات والحياة والحكمة فلا فرق بين قولنا "كيان واحد ثلثة اقانيم" وبين قولنا "قائم بنفسهِ ذو حياة وحكمة". فان قال الفيلسوف رحمهُ الله انكم اذا اثبتُّم للباري تعالى حياة وحكمة فقد اثبتم معهُ قديمَيْن آخرين وهذا ضدّ التوحيد. (قلنا) قد اجمعنا نحن وانتم على انَّ الباري تعالى حكيم حيّ وتعلم من حكم اللغة والقوانين المنطقيَّة ان الاسماء المشتقَّة هي مأخوذة من معانٍ موجودة بها للمسمَّيات بالاسماء المشتقَّة والحكيم مشتقٌّ من الحكمة والحيّ مشتقٌّ من الحياة واذا كان الامر على هذا وكان الباري حيًّا حكيماً وجب ان يثبت لهُ حياة وحكمة. فان قيل ان هذا يلزم في سائر الاسماء الَّا في اسماء الباري وان ليس الاسماء المشتقة لهُ بمعانٍ موجودة فيهِ كالاسماء المشتقة للمخلوقين لمارفيهم. (قلنا) ان هذا الاستثناء في موضع خلاف وهو دعوى بلا دليل وهذا ما لا يجوز في النظر لان من شرط النظر ان لا تجعل الدعوى دليلًا وانتم انَّما هوذا تدَّعون في هذا الموضع خلاف ما يوجبهُ القياس وقوانين المنطق واصول اللغة لانَّ القياس وقوانين المنطق واصول اللغة توجب ان لا يكون حكيم الَّا بحكمة ولا حيّ الَّا بحياة كما لا نحوي الَّا بنحو ولا مهندس الَّا بهندسة ولو لزِمَنا الشرك لاجل اثباتنا لله حياة وحكمة لكان الفيلسوف رحمهُ الله احقَّ منَّا بالشرك لانهُ يثبت انَّ لله العلم والحياة والقدرة والارادة والكلام والسمع والبصر فان كان مع اثباتهِ لله ذلك هو بريءٌ من الشرك فنحن ايضاً مع اثباتنا لله الحياة والحكمة بريئون من الشرك

فان قال قائل لمَّا كان الباري جلَّت قدرته حكيماً حيًّا خالقاً جوَّادًا رازقاً رحيماً حليماً سميعاً بصيراً وغير ذلك من الاوصاف فلِمَ اقتصرتم على ان اثبتُّم لهُ منها الحكمة والحياة فجعلتم الحكمة والحياة اقنومين وحذفتم ذكر الرحمة والجود وغير ذلك من الصفات التي كان يلزمكم على اصولكم ان تجعلوها اقانيم كما جعلتم الحكمة والحياة. (قلنا) ان اسماء الباري تعالى على ضربين ذاتيَّة وفعليَّة فالاسماء الذاتيَّة هي ان تخصَّ كيانهُ وذاتهُ مثل قولنا القائم بنفسهِ الحكيم الحيّ. والاسماء الفعليَّة هي مشتقَّة من

مثل قولنـا الخالق الجوّاد الرازق الرحيم الحليم السميع البصير وما شاكل ذلك من الاسماء . وقولنا ان الباري تعالى حكيم حيّ مثل قولنـا قائم بنفسهِ . وامّا إثباتنا لهُ الحكمة والحياة مثل اثباتنا لهُ الذات لان حكمته وحياته ليستا بقوّتين مركّبتين مثل حكمة المخلوقين وحيـاتهم لكنهما ذاتيان كيانيان غير متجزئتين من الذات وغير متبعّضتين من الكيان . وقولنا انّ لهُ خلقاً وجوداً وارادةً ورحمةً وغير ذلك من الصفات فهي صفات فعليّة تتعلّق بافعاله وذلك ان الخالق مشتقٌ من خلق يخلق . والجوّاد من جاد يجود . والرازق من رزق يرزق . والرحيم من رحم يرحم . والحليم من حلم يحلم والسميع من سمع يسمع . والبصير من بصر يبصر . فجميع هذه الاسماء وما شاكلها هي مشتقّة من الافعال وهي تتعلق بالخالق والمخلوقين . وذلك ان قولنا « جوّاد » يتعلّق بهِ والذين يجاد عليهم . وقولنا « خالق » يتعلق بهِ وبالمخلوقين . وقولنا « رازق » يتعلق بهِ وبالرزق وبالمرزوقين . وقولنا « مريد » يتعلق بهِ وبالمراد . وقولنـا « رحيم » يتعلق بهِ وبالمرحومين . وعلى هذا المثال تجري الامور في جميع الاسماء الخارجة عن الذات والحكمة والحياة . فلمّا كانت الذات والحكمة والحياة خواصَّ ذاتيَّـة وكانت الارادة والجود والرحمة وما شاكلها صفات فعليّة سُمّيت الذات والحكمة والحيـاة خواصَّ واقانيم وسُمّيت الارادة والجود والرحمة وما شاكلها صفات

فان قيل ان قولكم بان الله جوهر يؤدي الى القول بان الاعراض تدخل عليهِ تعالى لان حدّ الجوهر ما حمل العرض . (قلنا) ان الذي نعتقدهُ في الباري تعالى هو انهُ قائم بنفسهِ ونحن نسمّي القائم بنفسهِ بالسريانيّة كيانا ولمّا فسّر المقدَّمون من علمائنا الكتب المنطقيّة والشرعيّة عبّروا عن هذه اللفظة التي هي بالسريانية كيانا ومعناها القائم بنفسهِ باللفظة التي هي بالعربية جوهر ونرى الخلف في زماننا هذا واقعاً في معنى هذه اللفظة لانّ علماء الكلام يقولون انّ حدّ الجوهر ما حمل العرَض . فان كان معنى الجوهر هو القائم بنفسهِ فلا طعن على من يقول ان الله جوهر اذ كان الله قائماً بنفسـهِ واذا كان معنى الجوهر عندهم ما حمل الاعراض فليس الله جوهر . واذا رجع الى اقاويل العلماء عُلم انهُ لا طعن على من يقول ان الله جوهر اذ كان قصدهُ في قوله جوهر القائم بنفسهِ . قال صاحب العلم الالهيّ في الباب الثاني عشر من المقالة الاولى ما هذا حكايتهُ : « قد بُيّن ان المحرّك الاوّل اوّل على الاطلاق فهو اذن علّة الموجودات كلّها وما كان كذلك فلا

يخلو من ان يكون امّا جوهرًا وامّا عرضًا. ومن المحال ان يكون عرضًا لان الجوهر علّة وجود العرض والله علّة وجود كل شيء. ولولا الجوهر لم يوجد العرض قائمًا بذاته فليس الامر في ذلك بالعكس فبقي ان يكون جوهرًا او شيئًا اشرف من الجوهر او جوهرًا يخصُّهُ اوكيانًا او عينًا كيف شئت تقول بعد ان يكون المعنى محفوظًا. فهذا القول من هذا العالم يجيز القول بان الله جوهر بمعنى انهُ قائم بنفسهِ وهو المعنى الذي تذهب اليه النصارى في قولهم ان الله جوهر

وقال ابن الطيب في كتاب الطمس على الاصول الخمس ما هذا حكايتهُ: « اعلم ان النصارى اذا حقَّقنا معهم الكلام في قولهم ان الله جوهر واحد ذو ثلثة اقانيم لم يحصل بيننا وبينهم خلاف الّا في الاسم لانهم يقولون انهُ جوهر لا كالجواهر المخلوقة بمعنى انهُ قائم بنفسهِ والمعنى صحيح والعبارة فاسدة لان الاسماء يُرجَع فيها الى اهل اللسان ولم يطلق عليهِ احد منهم جوهرًا وانّما الكلام معهم في تثبيت النبوة كاليهود » فقد دلَّ هذا القول على انهُ لا طعن على النصارى في قولهم ان الله جوهر بمعنى انهُ قائم بنفسهِ وانهُ لا خلف بينهم وبين غيرهم الّا في اثبات النبوّة. وقال ابن شبل في كتابهِ في ادب الجدل ما هذا حكايتهُ: « ألا ترى ان سائر الامم تقيس القدير سبحانهُ على الشاهد في جميع ما يثبتونهُ من وحدانيَّتهِ وصفاتهِ وعدلهِ وقدرتهِ وفعلهِ. فيقولون الدليل على انهُ قادر وجود افعالهِ لان الفعل في الشاهد من احدنا يدلّ على كونهِ قادرًا وكذلك الفعل المحكم من احدنا يدلّ على كونهِ عالمًا ويستدلّ بفعل الباري جلّت قدرتهُ المحكم على كونهِ عالمًا فيجمعون بينهما بمعنًى من المعاني وان افترقا من وجوه أُخرى. فلو ان قائلًا قال: لا يقاس الباري على احدنا في الشاهد لانهُ قديم ونحن محدثون ونحن اجسام وهو غير جسم ونحن نعلم ونجهل ونقدر ونعجز وهو لا يجهل ولا يعجز لكان كلامًا فاسدًا وكذلك النصارى يقيسون القديم على المحدث في كونهِ جوهرًا بمعنى انهُ قائم بنفسهِ وان كان الجوهر في الشاهد محدثًا حاملًا للعرض واذا كان ذلك كذلك علمنا ان القياس يصحُّ من جهة واحدة ومعنى واحد وان افترقا من وجوهٍ أُخر ». فقد دلَّ هذا القول على ان الذي حمل غير النصارى على القول بان الله قادر عالم هو الذي دلَّ النصارى على ان الله جوهر اذ كان الجوهر عندهم القائم بنفسهِ فأمّا عند من يعتقد ان حدّ الجوهر ما حمل العرض فمعاذ الله ان يكون الله جوهرًا ومن قال انَّهُ جوهر على هذا الوجه فقد كفر. وبالجملة اذا اجتمع

اهل لغة العرب على ان حدّ الجوهر ما حمل العرض فقد ثبت باقرارهم ان ليس في لغتهم لفظة تصحّ ان يعبَّر بها عن القائم بنفسهِ فاذا كنّا لا نجد في لغة القوم لفظة نعبّر بها عن القائم بنفسهِ اذ ليس في لغتهم لفظة حدّها القائم بنفسهِ فالأحوط ان نعبّر عن ذلك باللفظة السريانية المقدّم ذكرها وهي الكيان كما لم نجد في لغتهم لفظة نعبّر بها عن الشيء الذي ليس بكيانٍ عامٍ ولا عرض عبّرنا عنهُ باللفظة السريانية التي هي الاقنوم اذ هي تقع عند السريانيين على كل ما ليس بكيان عامٍ ولا عرض. ولذلك نقول ان الباري جلّت قدرتهُ كيان واحد ثلثة اقانيم والفيلسوف ادام الله تأييده يقف على ذلك ويعرّفني ما عنده فيهِ ان شاء الله

صُنِّفت هذه الرسالة بالموصل في شهر رمضان سنة عشرين واربعمائة ه (١٠٢٩م) ولله الحمد

الاديار القديمة في كسروان

لحضرة الاب الفاضل ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني (لاحق بسابق)

مكتبة دير مار شليطا (تابع)

٨ الكتاب الثامن مجلَّد بخشب تجليداً متيناً وهو عبارة عن ٦٩٣ صفحة بقطع نصف نُسخ سنة ١٨٦١ للاسكندر سنة ١٥٥٠ م يحتوي على مواضيع مختلفة ومؤلفات متنوعة جُلّدت معاً ونسخها جميعها ناسخٌ واحد كما سترى

فالقسم الاوَّل من الصفحة الاولى الى الصفحة ٨٩ يتضمن كتاب ܗܝܡܢܘܬܐ ܕܒܢܝ̈ ܥܕܬܐ اي كتاب الامانة المنسوب الى ابينا القديس يوحنا مارون منسوخ بعامودين باصله السرياني وترجمتهِ العربية لتوما الكفرطابي الاسقف المونوطوليتي الذي افسد الامانة وزيَّفها وشحنها بغواياته عند ما دخل لبنان سنة ١٠٨٩ كما اشار الى ذلك السمعاني والدويهي وصاحب الدر المنظوم. قال العلامة الدويهي في الفصل الحادي عشر من تاريخهِ المعنون مارون والموارنة (وهو القسم الاوَّل من تاريخهِ): «ان توما الكفرطابي يقول في الديباجة التي وضعها على كتاب الامانة ان القديس يوحنا مارون اتى الى لبنان لحفظ الايمان». وهاك ديباجة هذا الكتاب بحرفها وقد طالعها الدويهي في هذا الكتاب

الذي نحن بصدده في مار شليطا وعلّق على الهامش بخط يده الكريمة هذه العبارة الآتية غير انَّ الذي عرم الكتاب ثانيةً بعد عصر الدويهي شطر سطرًا او سطرين منها عند قطعهِ الكتاب لجهلهِ قيمة الكاتب وما تبقَّى منها فهو ما يلي بحرفه: «كان يعتقد بالسيد مشيئة (١ واحدة (٢. واما قول الانبا يوحنا مارون فيبتدئ ܚܕ ܡܫܝܚܐ ܘܚܕ ܩܢܘܡܐ ومن شهاداته بيان واضحًا انهُ كان يعتقد في طبيعتين ومشيئتين في المسيح المخلص». وتعقُّب علامتنا الدويهي للكفرطابي بهذه العبارة يظهر جليًا من مطالعة الديباجة التي علقها على الكتاب وهاكها بحروفها بالسريانيَّة وترجمتها العربية نقلًا عن الكتاب الذي نحن بصدده والاصل السرياني معلق على الصفحة الـ ٨ منهُ والترجمة العربية على الصفحة الاولى وصاعدًا الى الثامنة ومنها ترى السريانية والعربية بحقلين:

«بسم الاب والابن والروح القدس اله واحد. نبتدي بعون الله وتوفيقه بكتب الامانة المقدسة في تمتنده النصارى بربنا الكلمة اللاهوتية ايسوع المسيح بما تضمنتهُ السيادة الابويَّة للقديس يوحنا بطريرك انطاكية بدير المقدس دير رهبان السوريان (كذا) وانهُ كان بطريرك انطاكية وعلى الشام وكان مقامهُ بالدير المذكور. فلمَّا تحرَّكت تلك الطغمة المشتتة عن الايمان الصادق من نسطور الذي جزَّأ وقسم الاحايد الشريف بربنا. ايضًا تلك الاخرى التي من اوطيخي المعترف باعتقاده ان اختلطت الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية وصارت واحدة واستحالت ومكسيموس جعل في المسيح ارادتين وفعلين وعندما حسنت هذه المقالة عند اولاد هؤلاي المذكورين. عند ذلك جعل هذا القديس حنًّا يناصبهم ويطردهم من جماعة اهل الكنيسة الرسولية لانهم جعلوا اولئك المضادين المدل

الاصل السرياني

ܒܫܡ ܐܒܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ ܚܕ ܐܠܗܐ
ܫܪܝܪܐ ܡܫܪܝܢܢ ܒܥܘܕܪܢܗ ܘܒܡܥܕܪܢܘܬܗ ܕܐܠܗܐ ܠܡܟܬܒ
ܗܝܡܢܘܬܐ ܕܟܢܝܫܬܐ ܕܒܪ ܡܪܢ ܩܕܝܫܬܐ ܕܟܪܣܛܝܢܐ ܘ
ܘܦܘܫܩܐ ܕܐܒܗܝ ܥܠ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ
ܘܥܠ ܕܡܫܩ ܕܗܘܐ ܥܡܘܪܐ ܒܕܝܪܐ ܩܕܝܫܐ
ܕܒܪܝܐ ܕܣܘܪܝܝܐ ܟܕ ܐܬܬܙܝܥܘ ܛܓܡܐ
ܕܦܠܝܓܝܢ ܡܢ ܢܣܛܘܪ ܕܦܠܓ ܘܡܢ ܐܘܛܝܟܐ
ܕܚܠܛ ܟܝܢܐ ܘܡܢ ܡܩܣܝܡܘܣ
ܕܐܡܪ ܬܪܬܝܢ ܨܒܝܢܘܬܐ ܘܬܪܬܝܢ ܡܥܒܕܢܘܬܐ
ܘܟܕ ܫܦܪܬ ܠܒܢܝܐ ܕܗܠܝܢ ܡܫܝܚܐ
ܗܘ ܩܕܝܫܐ ܗܢܐ ܘܐܝܟ ܕܐܝܬܘܗܝ
ܕܝܠܗ ܛܪܕ ܐܢܘܢ ܡܢ ܥܕܬܐ ܫܠܝܚܝܬܐ
ܡܛܠ ܕܐܝܬܝܘ ܠܗܘܢ ܠܦܠܓܘܬܐ

---

١) في الاصل لفظة «طبيعة» مضروب عليها وفوقها بخط الدويهي نفسه لفظة «مشيئة»

٢) المراد من هذه العبارة بيان معتقد الكفرطابي كما يستدل من لواحق العبارة وان كان اولها مفقودًا عند قطع ورق الكتاب بالرسم

يقولوا بربنا انهُ مشيئتين وارادتين ولم يفهموا الخلاف الذي بين المشيئتين وعندما نهضت هذه المقاومة الرديَّة من اولئك الذين هم رؤساء الكنيسة ومن ملوك الزمان الجداد (كذا) فنظر هذا المغبوط ماري مارون الذي هو يوحنا لان ليس لهُ وقوف قدامهم لكيلا ينير ايمانه الصادق فرأى ان يخلي كرسي انطاكية ويخرج سرًّا الى الشام فلما وصل الدير الذي كان لهُ على شاطي نهر العاصي في بلاد حمص وحماة وكانت جماعة ذاك الدير ثمان مائة راهب قديسين وهناك صحح هذه الامانة وعاد ارسلها الى جبل لبنان والى المشرق والى بلاد حلب : انَّا نؤمن ونعتقد نحن اولاد الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية الخ »

ܘܐܚ̈ܝܢ ܕܐܬܝܠܕ ܒܡܫܝܚܘܬܗ ܕܡܫܝܚܐ ܘܡܫܝܚܘܬܗ ܕܡܠܟ̈ܐ ܒܡܢܗ ܘܒܬܪܗ ܡܢ ܐܦܣܩܘܦܐ ܘܐܝܟ ܒܣܪܐ ܚܕܐ ܕܐܝܬ ܗܘܐ ܒܐܘܪܚܐ ܘܡܛܠܗ ܕܠܐ ܡܫܟܚ ܗܘܐ ܕܢܩܘܡ ܐܝܬ ܗܘܐ ܒܣܦܪܐ ܕܐܝܟ ܡܢܐ ܕܡܪ̈ܝܐ ܒܟܬ̈ܒܐ ܘܡܫܝܚܐ ܡܕܝܢ̈ܬܐ ܘܟܠܗܘܢ ܐܬܐ ܠܒܝܬ ܩܘܪܝܐ ܗܘܐ . ܘܒܗ ܕܐܚܪܗ ܘܫܕܪܗ ܠܛܘܪܐ ܕܠܒܢܢ ܘܠܡܕܢܚܐ : ܡܗܝܡܢܝܢ ܘܡܘܕܝܢ ܚܢܢ ܒܢ̈ܝ ܥܕܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ܩܬܘܠܝܩܝ ܘܫܠܝܚܝܬܐ . . . .

هنا تنتدئ الامانة بالحصر وما تقدَّم فيو عبارة عن الديباجة التي علَّقها الكفرطاني عليها وحاول بثّ سمّ تعليمهِ بين ابناء طائفتنا فرجع بخفي حنين كما اثبت ذلك الدويهي والسمعاني وغيرهما ببراهين دامغة

ثم ان ناسخ الامانة انبأنا عن اسمه وموطنه بالكتابة التي علقها باحرف عربية سخيفة جدًّا في آخر العامود الاول من الصفحة ٨٩ وها كها بالحرف:

« سنة ١٨٦١ يونانية تمَّمت هذا الاعتقاد بقرية شوبتا بناحية عكَّار من نسخة كتاب المطران انطون مطران الرعية وكان على يد الفقير فه سمعان باسم شدياق انجيلي (١ من قرية حدشيت من جبة بشري من جبل لبنان ابن القس مارون ابن الخوري يوحنا . . . (غير مقروء) »

وعلى العامود الثاني من الصفحة نفسها ترى كتابة أُخرى عربيَّة باحرف سريانيَّة كتبها مشتري الكتاب بجذافيره مع ما فيه من المواضيع المختلفة التي جُلدت بجلد واحد مع كتاب الامانة المقدَّم ذكره ولمَّا كانت هذه الموضوعات اكثرها قوانين كنائسيَّة

١) لم يحذّر المجمع اللبناني عبثاً (الباب ١٤ من القسم ٢ عدد ٥٢) على العامَّة الاَّ يخلطوا بين اسماء المراتب والوظائف الكهنوتية بقوله « ان من عادة العامة ان تسمي الشماسة شدايقة وان تقول كبير الشمامسة وتريد بهِ الشماس وتعني بهِ الشدياق الشمعداني . . . وعلى رئيس الشمامسة الذي يسمونه شدياقاً انجيلياً الخ » وها ان الكاتب لجهله يدعو ذاته شدياقاً انجيلياً في هذه العبارة ويسمي ذاته ارخيدياقن فيما كتبهُ على الصفحة ٦٢١ من الكتاب كما سترى

ونواميس بيعيـة كما سترى لذا اطلق المشتري على الكتاب اسم « الناموس المعظم » وهاك الكتابة بالحرف :

« الله حق . بسم الاب والاب وروح القدس الاله واحد . اشترى هذا كتاب الناموس المعظم الحوري سابا ابن الشمّاس يوسف يُعرَف بابن حلب من قرية الماقورة قاطن بوبنغر دمشق الشام اشتراهُ من الشدياق ابن القس هـارون من قرية حدشيت من جبة بشري بتسع سلطانية نهـار الخميس في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٨٨٩ يونانية (سنة ١٥٧٨ م) احسن الله عاقبتهُ الى خير والحمد لله واحد رب العالمين امين »

ويلي ما تقدَّم :

« ايها الاب القاري ادعي (أدعُ) لكاتب الاحرف المقيرة بغفران ذنوبه وهو يُدعى خاطر باسم شماس ليس بالفعل يُعرف بابن الحوري سابا المشتري المذكور اعلاهُ وكل فاعل لهُ جزاء من خير او شرّ »

ولنتبع الآن مواضيع هذا المجلد المختلفة بعد ان حررنا ما هو مسطر على الصفحة الاخيرة من كتاب الامانة . فاوَّلًا ترى على الصفحة ٩٠ التي تلي الصفحة الاخيرة من كتاب الامانة الكتابة الآتية بخط مشتري الكتاب الذي ورد ذكره اعلاه ويظهر ان هذه الصفحة كانت تُركت بيضاء . فكتب عليها مشتري الكتاب القوانين الآتية نقلها عن كتاب آخر بشأن تعيين عيد القيامة المجيد وهي لا تخلو من الاهميَّة وهاك النصّ بالحرف :

« ايضاً بعض من قوانين الرسل الاطهار يشهدوا على عيد قيامة المسيح . قانون : لانَّهم قالوا في كتاب التعاليم يجب عليكم يا اخوة ان تعملوا عيد الفصح بكل استقصاء واهتمام عظيم من بعد جمعة فطير اليهود وان لا يعمل هذا العيد الذي هو تذكار آلام الوحيد دفعتين في السنة بل دفعة واحدة فتحفظوا الاستقصاء من عيد اليهود الذي فيه طعام الفطـير في زمان الربيع هذا الذي يحفظ واحد وعشرين يوماً من الهلال الجديد في اسبوع آخر اي يوم يقع الاربعة عشرية القمر يوم الاحد يكون العيد الاحد الآخر . وان كان يوم الاثنين (يكون) الاحد العيد وان كان الثلاثاء او الاربعاء او السبت (يكون) الآحد العيد يعني ان جاء في اينا يوم في السبة هو الاحد يكون عيد قيامة مخلصنا »

ثم يورد قانون الرسل الرابع بهذا المعنى ثم يأتي بقانون مجمع نيقية الثامن والثلاثين والتاسع والثلاثين وهاك نصَّهُ :

« قالوا لا يجب ان نعيد معهم (اليهود) بل اذا كان الفصح يوم الاحد الاحد التـالي هو عيد القيامة واذا وقع في اي يوم كان في الجمعة الحد العيد »

ثم يورد قانون من مجمع نيقية :

« حدد الاعتدال في واحد وعشرين من اذار والاربعة عشرية التي تقع قبـل الاعتدال اعني

الواحد وعشرين في اذار لم توافق لحساب العيد بل التي تقع في واحد وعشرين ام بعده كما سبق القول لان حفظ السنة الشمسية لاجل الاعتدال الربيعي وحفظ السنة القمرية لاجل اربعة عشرية القمر وهو ضروري لقاعدة الاعياد ولاجل هذا الابا القديسون في مجمع نيقية وضعوا الاعتدال في ٢١ آذار وامروا بموجب المرسوم الالهي ان الاربعة عشرية القمرية تكون في شهر الاول التي تقع يوم واحد وعشرين مع الاعتدال الربيعي ام التابعة الاقرب اليه وايضاً ان يوم الاحد الاول الذي يجي بعد الاربعة عشرية القمر يتعيد عيد القيامة المقدس حتى تتعيد الاعياد في ايامها» اه

ثم انك ترى على الصفحة ٩١ ما يلي بحبر احمر:

« نكتب القانون الاول في ذكر الايمان اصول الاعتقادات في مذاهب النصرانية والشريعة المسيحية ». وفي هذا الكتاب ما يدل على انهُ من وضع الكفرطابي ففي الصفحة ١٠٠ لمّا يعدّد الفرق النصرانية يقول: « ذكرت خبر هاتين الفرقتين المارونية والملكية وشرحت بيان حالها شرحاً شافياً في الرسالة التي كتبتها الى الاب القديس اوسانيوس اسقف عين قره (اي العاقوره) ووسمتها برسالة العدل » وكلّ يعلم ما فعلهُ الكفرطابي لبثّ غواياته وقد اشار الدويهي الى هذه الرسالة التي ارسلها لهذا الاسقف. ويظهر من سياق المطالعة ان الكفرطابي كان في عداد الكتبة المجيدين في العربية وينتهي هذا الكتاب الى الصفحة ١٠٨ وفي اسفل العامود الاول منها ترى ما يلي بحبر احمر:

« نكتب القوانين المقدسة الذي رتبوهم لنا الآبا والتلاميذ الرسل وثبتوها في البيعة المقدسة صلاتهم تكون معنا امين القانون الاول الصلوة والاحتفاظ بها » ومن الغريب في هذا الباب شروط الصلاة وحدودها قال: « فاماً حدودها وشروطها فانها تحتاج في اول شيء الى الطهارة وهو الاغتسال بالماء في اثر الحدث. فان لم يجد ماء فليتجمّر بثلاثة حجارة وما زاد عليها حتى ينقى من اثر النجوى. ثم غسل اليدين بالتسمية وغسل الوجه برسم الصليب الحي. ويُستحبّ ايضاً غسل الرجلين في كل غدا فاماً من لم يحدث فلا يحتاج الى الاستنجا بل يُستحبّ منهُ غسل اليدين والوجه. وغاية الغسل ان يعم الماء العضو الذي يغسلهُ عوماً كاملاً وان كان لا يقدر على الماء واحدث استنجى بالحجارة كما قلنا وصلى ولا حاجة لهُ الى غير ذلك في ذلك الوقت الخ »

الى غير ذلك من العوائد الغريبة عن عُرفنا اليوم غير انهُ يبيّن في آخر الفصل « ان من اغتسل من الجنابة غسلاً عامّاً اي افاض الماء على جسمه معتقداً انهُ يريد بذلك الاغتسال من نجاسة القلب فانهُ قد تنجّس ولا يجوز لهُ صلوة الّا بعد اعتراف الكاهن وقبوله صلاة الاستغفار »...

ثم انك ترى على الصفحة ١١١ هذا العنوان بحبر احمر: « نكتب شرح قليل من

المحارم التي تلاها الثلاثماية وثمانية عشر من مجمع نيقية وفحوى هذه القوانين منع التزوج بامرأتين والتزوج باختين الخ. ثم هذا القانون يأمر الهجر وعدم المباكنة

« اذا ارادت الامرأة مفارقة زوجها والرجل مفارقة امرأته فليبعث من احبَّ الفرقة بكتاب اطلاق يبيّن فيه لاي سبب هي الفرقة الواحد من صاحبه وان كانت الاساءة من قبل الرجل فليوفها مهرها وجهازها وان كانت الاساءة من قبل الامرأة فتأخذ مهرها فقط ويحبس زوجها جهازها جزاء الاساءة »

ويلي ما تقدَّم من القوانين على الصفحة ١١٢ في العامود الاوَّل صلوة سريانيَّة تقال على الاب والام اللذين مات لهما طفل ولم يَنَل نعمة الاصطباغ بالمعموديَّة المقدسة

ثم يلي هذه الصلوة على العامود الثاني من الصفحة نفسها عنوان كتاب شرع كنسي فريد في بابه اظنهُ لابن العسال يبتدي من الصفحة ١١٢ وينتهي الى الصفحة ٦٢١ وها اننا نصف حُلَى هذا الكتاب ونورد فهرسته لعلَّ المطالع يهتدي الى اسم مؤلفه اذا ما عارضه بغيره من النسخ التي لهذا المؤلف فيهدينا اليه وهاك صدر الكلام في هذا الكتاب بعد البسملة :

« الحمد لله الذي شرفنا باصول الايمان والاعمال واتقن افعالنا الظاهرة والباطنة بشريعتي العدل والكمال ». وبعدُ هذا الكتاب مجموعٌ من الكتب الالهيَّة والقوانين الروحانيَّة وما فرَّعهُ العقل عليها وردَّهُ القيام اليها بليغًا يخلو مع الاختصار من الاخلال ويجمع بين فائدتي التفصيل والاجمال اعتمد بمجموعات جمعت ببصيرة وتوفيق واجتهاد وانتُخب من موضوعات وضعها من لهُ في التصنيف خبرة وتحقيق واعتياد فاما ما هو من الكتب في القوانين فقد وضعتُ اسماءهم واسماء واضعيهم واما ما استندت فيه الى العقل والقياس فقد اضفتهُ الى القوانين وهذا فيه قليل ولم يرد الا في بعض المعاملات .... »

واما فهرست الكتاب فهو عبارة عن واحد وخمسين بابًا. الباب ١ في الكنيسة وما يتعلق بها. ٢ في الكتب والاصول المقدسة. ٣ في التعميد والداخلين في الايمان. ٤ في البطاركة والمطارنة. ٥ في الاساقفة. ٦ في القسوس. ٧ في الشمامسة. ٨ في باقي خدام البيعة. ٩ في الكهنة جملة. ١٠ في الرهبان والراهبات. ١١ في اداب وصايا العلمانيين. ١٢ في القداس. ١٣ في القربان وانواعه. ١٤ في الصلوة. ١٥ في الصوم وانواعه. ١٦ في الصدقة. ١٧ في متولي الصدقة. ١٨ في العشور والبكور والاوقاف. ١٩ في الآحاد

والاعياد. ٢٠ في الشهداء والمعترفين والجاحدين. ٢١ في المرضى. ٢٢ في الاموات. ٢٣ في المآكل والملابس والمنازل والصنائع. ٢٤ في الخطبة والاملاك والزيجة. ٢٥ في تحريم التسري. ٢٦ في الهبة. ٢٧ في القرضة والرهن والضمان والكفالة. ٢٨ في العارية. ٢٩ في الوديعة. ٣٠ في الوكالة. ٣١ في الحرّية والعبوديّة والعتق. ٣٢ في الحجر. ٣٣ في المباعات وما معها. ٣٤ في الشركة. ٣٥ في الاكراه والغصب. ٣٦ في الابنية وما يتبعها. ٣٧ في الاجارة. ٣٨ في القرض. ٣٩ في الاقرار. ٤٠ في ما يوجد ضائعاً. ٤١ في الوصيّة والحال. ٤٢ في المواريث. ٤٣ في الملوك. ٤٤ في الحكّام. ٤٥ في العتيقة والجديدة. ٤٦ في عقوبات الكفر. ٤٧ في القتل. ٤٨ في قصاص الزنا. ٤٩ في قصاص السرقة. ٥٠ في عدة جرائم. ٥١ في عدة امور. انتهى الفهرست. وينتهي هذا الكتاب الى الصفحة ٦٢١ فيكون عبارة عن ٥٠٩ صفحات بقطع النصف جمع فيه مؤلفه فوائد في بابها من القانون. وفي منتصف العامود الاول من الصفحة ٦٢١ الكتابة الآتية:

« تم الناموس المقدس بعون الله تعالى وحسن توفيقهِ وكان التجاز من ذلك في ١٧ يوم من شهر حزيران يوم الثلاثه عند غروب الشمس سنة ١٨٦١ يونانية من سنين اسكندر وكتبه العبد الخاطئ الحقير المسكين الغارق في خطاياه وذنوبه سمعان باسم ارخيدياقن ابن القس هارون ابن الخوري يوحنا كميوش من قرية حدشيت المباركة من لبنان المبارك من جبة بشري الله يرحمه ويرحم والديه ويرحم من يترحم عليه امين. وهو برسم كاتبه سمعان المذكور اعلاه وهو من نسخة قنوبين وهو كان يومئذٍ تحت حوز وفي يد الشدياق ابراهيم ابن الشماس يوحنا ابن الفحل من قرية شدرا معاملة حصن الاكراد الله يرحم من كتب ومن قرأ فيهِ لا يعتب ان وجد ناقص ام زايد لان كل مخلوق ناقص وما في كامل غير الله وحده لهُ المجد دائمًا ابدًا امين رب العالمين امين امين »

واعلم ان الناسخ قد اوقع في هذا الكتاب من الاغلاط ما لا يحصى. بقي علينا ان نقول اذا لم يثبت ان هذا الكتاب هو لابن العسّال ألا يحتمل ان يكون كتاب الهدى او الشرع الماروني القديم الذي نقلهُ الكفرطابي الى العربيّة الفصحى بعد ان كان الاسقف داوود الماروني ترجمهُ اوّلًا من السريانيّة الى العربيّة سنة ١٠٥٩ كما ارتأى علماؤنا في ذلك. لا نجزم بهِ لاننا لم نعثر على نسخة من كتاب الهدى لنعارضها بالكتاب الذي بين ايدينا

ثم يلي الصفحة ٦٢١ مواضيع مختلفة في الشرع الكنسي اظنها من بقايا كتاب

الهدى او الشرع الماروني القديم وهاك فهرستها : ١ في الحائض . ٢ قانون اخذ الجسد المقدّس . ٣ الاعتماد فريضة واجبة لازمة من اصول الدين . ٤ ثم قانون قوريلس لاجل المعمودية والزواج . ٥ ثم ما يجب على النصارى ان يؤمنوا به الخ . ٦ في الطهارة (صفحة ١٥٨) . ٧ اختلاف النصارى في اخذ القربان المقدس صفحة ٦٧٨ . ٨ ثم قانون الصوم وهو الاخير غير انهُ ناقص ولمَّا لم يجد الناسخ كمالة الفصل كتب على الهامش معتذرًا بقوله :

« يا اخي هذا الكتاب ناقص من اخره لان النسخة كانت عتيقة من ٣٠٠ سنة لا تلومني ايها القاري صلي عليَّ من شان المسيح واتكتب في شويتا قرية من ناحية عكّار وهو برسم كاتبه الشماس سمعان ابن القس هارون من قرية حدشيت من جبة بشري الله يرحم والديه .»

وبهذه العبارة ينتهي هذا المجلد الضخم الذي نسخهُ ناسخ واحد بعينه كما رأيت من الكتابات التي استشهدنا بها نقلًا عن صفحاته ٨٩ و ٦٢١ والصفحة الاخيرة التي نقلنا عنها العبارة الاخيرة الموردة اعلاه (ستأتي البقيَّة)

نظرٌ في اهم حوادث السنة المنصرمة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمَّة)

٣° اميركة

﴿ الولايات المتَّحدة ﴾ رأت في السنة المنصرمة نهاية حربها في جزائر الفيليبين واستسلام العصاة الوطنيين الذين كان يقودهم اغوينالدو . واخذت من ثمَّ تهتم بشؤون الجزيرة واصلاح امورها . ولمَّا كانت مسألة املاك الرهبانيَّات من اخطر المهام ولها علاقة بامور الدين عزمت حكومة واشنطون ان تخابر الكرسي الرسوليَّ في ذلك فتمَّ الاتفاق على وجه حتَّى يرضي الدولتين معًا . وقد وجد معتمد قداسة البابا من المجاملة والمراعاة ما استوجب ثناء الكاثوليك على نزاهة دولة واشنطون ونيَّاتها السلميَّة نحو الكنيسة — وممَّا اكسب الولايات المتَّحدة جاهًا أنَّها رفعت علمها لاوَّل مرَّة على جزائر الانتيل الخاصَّة بدنيمرك بعد تنازل هذه الدولة عنها في معاهدة وقَّعتا عليها في ٢٤ ك ٢ — وقد اوشكت ايضًا الولايات المتَّحدة ان تنهي مسألة أخرى سوف تُوليها قريبًا

منافع جمّة وهي مسألة ترعة بناما فانّها تهيّأت لان تدفع للشركة الفرنساويّة السابقة ٤٠ مليوناً من الدولار في مقابل تخلّيها التام عن املاكها وحقوقها ثم تتفق مع جمهوريّة كلومبية على ان تُعطَى الارض اللازمة لهـذا المشروع الخطير على شرط انَّ الولايات المتّحدة تضمن لها سلامة بلادها — امّا رئيس الجمهوريّة روزفلت فانهُ قضى قسماً من هذه السنة يتجوّل في انحاء البلاد ليثبت سلطتهُ ويستطلع احوال مرؤوسيهِ وقد هنّهُ امر الفَعَلة الذين اعتصبوا نحو اربعة اشهر فكان اعتصابهم آفةً على نفوسهم وعلى بلدهم

﴿ جزيرة كوبا ﴾ نالت جزيرة كوبا في سنة ١٩٠٢ حقوق الاستقلال وفي ٢٠ أيار سنة ١٩٠٢ سلّمت حكومة الولايات المتّحدة مقاليد الامر للشعب الكوبي ولرئيسهِ الجديد توما استرادا بناءً على شروط تخوّلها حقوقاً امتيازيّة لا تعطى لغيرها من الدول كحق التوسّط والترخيص بانشاء محطّات بحريّة. والرئيس الجديد سُمّي لاربع سنوات وهو يتولّى السيادة على مليونٍ ونصف من النفوس

﴿ الانتيل ﴾ قد اشرنا سابقاً الى فاجعة المارتينيك من مستعمرات فرنسة في الانتيل. لكنَّ هذه الجزيرة لم تُفجَع وحدها في السنة المنقضية وانما عمَّ المُصاب قسماً من الانتيل الانكليزيّة كجزيرتَي سان فنسان وسان توما. وفي الوقت عينهِ تفجّرت براكين الغواتمالا في اميركة المتوسّطة فذهبت حممها بمدن زاهرة. وكذلك احترقت مدينة شماكا في جبل القاف مع اهلها بعدد ١٥٠٠٠ نفس وخربت في يابان جزيرة تودي شيما. وقد بلغت في هذه السنة الزواجع الزلزليّة او البركانيّة مبلغاً لم يألفهُ العلماء قبل ذلك فانّها انافت على ٣٠٠ حادث

﴿ كندا ﴾ انتهى وضع القلوس التلغرافيّة بينها وبين اوسترالية مارَّةً بجزائر فانينغ وفيجي وزيلندة الجديدة. وطول هذه الحبال ١٣٤٠٠ كيلومتر أُنفق عليها مبلغ ٤٥ مليون فرنك. وامّا احوال كنـدا فعلى ما يرام من الترقي والنجاح تحت ظلّ العَلَم البريطاني. ولا تزال مناجمها في كلُندَيك مطمحاً لانظار محبّي المال يتقاطر اليها في السنة ربوات من الناس ليستخرجوا من اعماق الارض أَرْكِزَتَها

﴿ اميركة الجنوبيّة ﴾ جمهوريّاتها المتعدّدة في غَلَيان دائم لا تكاد ترى منها دولة في سلام اللهمَّ الَّا بلاد (المكسيك) فانّها منـذ سنين قليلة اخذت في نهج

القوانين التجاريَّة والزراعيَّة الآئلة الى خير الجمهور فترى ميزانيَّتها في تحسُّن ومعاملاتها على نجاح لولا انَّها فُجعت باحدى مُدنها وهي مدينة اوكوس من اعظم مرافئها خُسفت بها الارض فتلف معظم سكَّانها — (كولومبية) وردت مـدَّة ثلاث سنوات ماء الحروب الاهليَّة الأجاج حتى افاقت اخيرًا من غفلتهـا وسلَّمت اعنَّة التدبير الى وزارة يترأسها رجلٌ ذو دين وهمَّة معًا وهو الرئيس ماروكين فاخذ يصلح شؤونها ويتدارك خورها وقد اتَّفق مع رئيس اساقفة بوغوتا على تكريس الدولة لقلب يسوع الاقدس فتمَّ ذلك باحتفال بهيج في ٢٢ حزيران الماضي. وتؤمل كولومبية لمستقبلها نجاحًا اعظم اذا ما تمَّت قناة بناما المارَّة في بلادها فيفتح لها ابوابًا واسعة للتجارة والارباح المادّيَّة

وكذلك اعاد الجنرال دي بلازا السكينة لجمهوريَّة (خطّ الاستواء) بعد الأشغاب والفتن — وكانت جمهوريَّتا (الشيلي والارجنتين) على وشك خوض معامع الحرب في اوائل السنة ١٩٠٢. ثم ثابتا الى التعقُّل والرويَّة ورفعتا دعواهما الى ملك انكلترة ادوار فودَّ تحكيمُهُ السلام للبلدين وقسم بينهما الحدود التي كانت داعيًا للنزاع — فبقيت (فنازويلة) وهي في هرج ومرج منذ زمن طويل وبعد انتصـار رئيسها كاسترو على خصمه ماتيوس دخلت في ميدان آخر يُرجَّح انَّها تخرج منهُ بصفقة خاسر. فانَّها لم ترضَ ان تدفع لالمانية ولانكلترة ما لهما عليها من الغرامة فاتَّفقت الدولتان على استعمال القوَّة الجبريَّة ولعلَّنا لا نلبث ان نرى هذه الجمهوريَّة الصغرى خاضعـة مستسلمة ما لم تمدَّ اليها الولايات المتحدة يد المساعدة. وكذلك جمهوريَّتا (بيرو وبوليفية) تتنازعان منجمًا ذهبيًّا على حدود الجمهوريَّتين وحتى الآن لم ينتهِ النزاع. امَّا (البرازيل) فخلد الى الدعة والسكون ورؤساؤهُ يفرغون حالًا جهدهم في توسيع نطاق تجارته — وقد انتهت السنة بانتخاب رئيس جديد لجمهوريَّة (هايتي) وهو الجنرال سنيكا والامل وطيد بأنَّهُ يعيد المياه الى مجاريها بعد تعكُّرها وانتشاب الحرب الاهليَّة

٣ آسية

اذا انتقلنا من عالم الشغل والحركة والترقي المادّي الى قارتنا الاسيويَّة وجدنا بلادها كأنَّها افاقت من سُبات طويل وهي مدفوعة بالرغم عنها الى حركة لا مناص لها منها

﴿ الشرق الاقصى ﴾ هناك شعوب اذا أُحصوا كادوا يبلغون ثلث عدد بني آدم يسوسهم ابن السماء او بالاحرى امُّهُ الامبراطورة وصيَّةُ المالكة باسمهِ. الَّا انَّ الايدي

القابضة على اعنَّة الملك قد ضعفت عن التدبير. فانَّ ثمَّت جمعيات سريَّة متعددة تثير الفتن وتسعر جذوة الشرّ تراها اذا خمدت نارتها في جهة أُحيت معالم الهرج في جهة أُخرى — كانت السنة ١٩٠٢ موعد انجلاء الجيوش الاوربيَّة عن الصين الَّا انَّ المذابح الجديدة التي احدثتها هذه العُصَب استدعت بقاء قسم منها هناك ريثما تستتب الراحة — هذا وقد عاد البلاط الامبراطوري الى قصره في باكين بعد تغيُّبه عنهُ سنة بنيف. وقد استقبل الامبراطور وامهُ سفراء الدول الاجنبيَّة في قصرهما في المعاهد المخصوصة بالاسرة الملكيَّة وكبار الدولة من المجلس الاعلى وهو امر لم يعهد سابقًا — وفي اثناء السنة قد وقَّع مندوبو الصين على معاهدة السلام والتزمت مملكتها باداء الغرامة الحربيَّة للدول المتحالفة وكانَّ الروسيَّة لا تكتفي بغرامة فانَّ نظرها طامح الى منشورية تريد ضمَّها الى املاكها الواسعة. وحتى الآنَ لا توافقها الدول على مطامعها. امَّا نحن الكاثوليك فيسرُّنا ان نرى الزرع الروحي ناميًا في تلك البلاد القاصية وعدد المؤمنين يتكاثر مع الايَّام رغمًا عن المحن التي اصابت نصارى الصين في السنين المنصرمة

﴿ اليابان ﴾ اليابان والصين على طرفي نقيض في اعتبارهما تمدُّن العصر فبينما هذه تأنف من كل استحداث ترى تلك جارية جري الجواد في اتخاذ الاختراعات الجديدة وتباري الدول الاوربيَّة الكبرى فتراها تقوم وتقعد ولا تدع بابًا الَّا تقرعهُ لتأثر قرائنها حتى اضحت اليوم دولة معدودة ذات جيش عظيم وقوَّة بحريَّة معتبرة لا يأنف من محالفتها كبار الدول. وفي العام الماضي تحالفت اليابان وانكلترة على حفظ الصين من كلّ تهديد وقرَّرتا بقاء كوريا ومنشوريا كجزئين تابعين لمملكة ابن السماء. ونتيجها بهذه المحالفة ان يتعرَّضا لروسيَّة في الشرق الاقصى

﴿ الهند ﴾ كانت احوالها في العام الماضي غير مرضية لدائين مجحفين لا يزالان يفتكان بكثير من انحائها ألا وهما القحط والطاعون فانتشرا في النواحي الداخليَّة بعد ان كانا منحصرين في الجهات الساحليَّة فاماتا العباد واخربا البلاد. والمجاعة ضاربة بعد اطنابها في امكنة كثيرة يموت بسببها الوف ومئات الوف من الاهلين هذا مع ما تصرفهُ الحكومة الانكليزيَّة لاعالة الجائعين فانَّها تنفق على عددٍ يبلغ ٤٥٠٠٠٠٠ نفس طعامهم اليومي. على انَّ الامطار التي هطلت آخرًا احيت القلوب وانعشت آمال الزُرَّاع

﴿ فارس ﴾ تجوَّل حضرة شاه العجم في اوربة فزار الدول الكبرى ورؤساءها

فاستقبلهُ الملوك بالاكرام اللائق لاسيَّما اصحاب الدولتين اللتين تجاورهما مملكتهُ اعني الروسيَّة وانكلترَّة. وقد نال الانكليز الرخصة بتعدين المعادن المكتشفة في بلاد ايران امَّا الروس فانَّهم يواصلون في العجم مدَّ السكك الحديديَّة التي تزيدهم فيها نفوذًا

﴿ سوريَّة ﴾ أُصيبت طائفة الروم الملكيين الكاثوليك بعظيم احبارها غبطة السيد بطرس الرابع الجريجيري في ٢٤ نيسان فكان لنعاهُ صدى حزن في كل القلوب كما ظهر في حفلة جنازته التي حضرها معظم اهل الثغر. على انَّ الله خفَّف هذا المصاب بعد قليل بانتخاب خلفهِ غبطة السيد المفضال والحبر الهمام كيرلُّس جحا الثامن من اسمهِ. فما كاد يجلس على كرسي انطاكية حتى خصَّتهُ الذات الشاهانيَّة بتعطفاتها الملوكانيَّة كما سُرَّ بانتخابهِ قلب ابي المؤمنين. واجمع الكلّ على ان هذه الرتبة السامية « لم تك تصلح الَّا لهُ ولم يكُ يصلح الَّا لها » فاخذ يحقّق فيهِ آمال ملَّتهِ — وقد حظي كاثوليك سوريَّة في اواخر ايلول بزيارة احد امراء الكنيسة ألا وهو نيافة الكردينال فرّاري رئيس اساقفة ميلانو وهو اول كردينال وطئ ارض بلادنا بعد ستَّة قرون مرَّت عليها. ولم يتمّم نيافتهُ ان اقلع من بيروت قاصدًا يافا والاراضي المقدسة — ومن الامور السارَّة التي اهتزَّت لها قلوب اللبنانيين طربًا ورود المتصرّف الجديد حضرة الوزير المشير صاحب الدولة مظفَّر باشا فاستبشر اهل الجبل بقدومهِ وقد رأوا من بواكير اعمالهِ ما حقَّق حسن ظنّهم بهمَّتهِ القعساء وثقتهم بإقدامهِ على مصالح الجبل — وقد شاء الله ان يزج هذه الافراح بشيء من بلايا هذه الحياة بانتقال عدوى الهواء الاصفر الى تخومنا فاحتلَّ هذا الضيف الثقيل جنوبيَّ الشام وفتك في بعض انحاء فلسطين فابطر اهلَها ذرعهم ثم مدَّ رواقهُ فوق الفيحاء فهامت القلوب بظهوره وارتفعت اكفُّ الضراعة الى الله بان يردَّ هذا العدوَّ الفتّاك على اعقابهِ. والظاهر من الانباء الاخيرة انَّ ظلَّهُ الممقوت اخذ بالتقلُّص نجَّى الله عبادهُ قريبًا من نكباتهِ. على انَّ سريان هذا الداء في قلب الشام لم يكن ليوقف حركة اشغال السكَّة الحجازيَّة بين دمشق ومكَّة فنجُز منها في قسمَيها نحو ٢٠٠ كيلو متر — وقد رأت سوريَّة في هذه السنة نهاية سكَّة اخرى فتحت للاواسط بلادنا طريقًا تجاريَّة أحيت موات ارضها وبعثت همَم اهلها

٤ افريقية

﴿ افريقية الجنوبيَّة ﴾ وضعت فيها الحرب اوزارها الَّا ان الاهلين قد نالهم

من جرَّائها نوائب كدمَّتهم بانيابها وعركتهم عرك الرحى بثقالها فاصبحت اليوم ارامل البوير ويتاماهم في حال يُرثى لها. وقد فطن الانكليز الى ذلك وارسلوا شبرلين ليجبر قلوبهم المهيضة ويقدّم لهم ما يحتاجونهُ من المساعدات لتعود الزراعة الى مقامها وفيها حياة البلاد — هذا وقد عاد اصحاب المناجم الذهبيَّة الى استثمار هذه المعادن. وشاع آخرًا انهُ وُجدت مناجم جديدة من الماس في تلك الاقطار. فان صحَّ الخبر لا يلبث عُصَب العَمَلة ان تنقضَّ على هذه الغنائم انقضاض كواسر الطير على فريستها — ومن الامور المهمَّة التي جرت هناك في العام المنصرم موت سسل رودس توفي في مصيفهِ في بنوزمبرج قريبًا من كابتون بداء القلب وذلك في ٢٦ آذار. مات قبل ان يرى نهاية الحرب التي كان اعظم مسعريها. قد دُعي سسل رودس نابوليون الكاب لانهُ فتح لوطنهِ بلادًا جديدة الَّا انهُ اشبه ايضًا الفاتحين الذين لا يفوزون بمطامعهم الَّا بما يجلبونهُ من الضرَّات على غيرهم — وفيما نحن نذكر هذا الفاتح الفاتك لا يسعنا ان نسكت عن فتَّاحين آخرين في جنوبيّ افريقية وهم روَّاد السلام والتمدُّن الذين اثاب احدهم الملك ادوار بتحيه وسام القديس ميخائيل وجاورجيوس الذي لم يُمنح سابقًا الَّا للامراء واصحاب الاسرة الملكيَّة. نريد الاب هيخت من مرسلي خدمة مريم وجميَّتهُ وقد ادَّوا للمتحاربين من الانكليز والبوير خدمًا تذكر فتُشكر. وقد سمعنا في هذه المجلَّة (المشرق ٤: ٧٦٧) صوت سسل رودس نفسهِ يشهد للمرسلين اليسوعيين الذين لقيهم في افريقية الجنوبيَّة

﴿ افريقية المتوسطة ﴾ هي مجال تتجارى فيه فرسان الدول الاوربيَّة وخصوصًا معتمدو المانية وانكلترَّة وفرنسة فكلٌّ منهم يتسارع الى النُقَط التي لم يضبطها غيرهُ من اقرانه ليجعلها لاحقةً باملاكه. على انَّ النفوذ الاعظم يكون لانكلترَّة اذا ما امكنها ان تتمّم مشروعها الذي تسعى وراءهُ منذ زمن مديد الَّا وهو مدّ سكَّة حديديَّة توصل بين طرفي افريقية جنوبها وشمالها بين مصر ومستعمرة الكاب. فاذا فازت بالمرغوب استغنت عن ترعة السويس وفتحت لها طريقًا جديدة الى الهند مجتازةً من بعض جهات افريقية الشرقيَّة

﴿ افريقية الشماليَّة ﴾ ترى في شمال افريقية الشرقيّ اهل الصومال تحت قيادة مهديّ جديد يدافعون عن استقلال وطنهم. والمرجّح ان معظم الصومالولند لا يلبث ان يدخل تحت حكم الجبَّار البريطاني الذي يريد ان يضبط ضفَّة افريقية عند بحر الهند

كما يضبط في عدن ضفَّة آسية — في الحبش يرعى النجاشي منليك شعبهُ بالعدل والحكمة وقد باشر هذا الملك بعدَّة مبانٍ عظيمة كقنطرة وخزَّان في ناحية شوكور وقصر واسع على مقربة من كوسا في وادي كوسا. وعمَّا قليل يُنتظر تدشين السكَّة الحديديَّة التي تمتدّ من هرد الى جيبوتي مع فرع الى اديس بابا عاصمة الملك وفرنسة تُعد في هذه الفرصة لملك الحبش استقبالاً بهيجاً — اما مستعمرة الاريتره فان احوالها تتحسَّن تحت العلم الايطالي لولا ان سكَّة جيبوتي تتهدَّد تجارتها بالمزاحمة — ثمَّ ان سرنا متقدمين الى الغرب لقينا مصر التي تقلَّبت في العام الماضي بين حوادث سارَّة ووقائع مفجعة. فمن خطوبها التي مُنيت بها عدوى الطاعون وداء الهواء الاصفر تجوَّل كلاهما القطر المصري واورد كثيرين حياض الموت. اماَّ المفرحات فكثيرة. منها المعرض الزراعيّ الذي افتتحهُ مصر في ٢٢ ك ٢. ومنها تكريس الكنيسة القبطية الكاتدرائيَّة في الاسكندريَّة في أيار أُقيمت للقبط الكاثوليك في محلّ الهيكل القديم المعروف بالقيصري (Cesareum) ومنها تدشين دار العاديَّات المصريَّة الجديدة في ١٥ نوفمبر (راجع المشرق ٥:١١٠٥) نُقلت اليها آثار مصر المحفوظة سابقاً في قصر الجيزة. ومنها في ١٠ كانون الاول افتتاح خزَّان اسوان وهو المشروع العظيم الذي يضمن لمصر الوسطى مستقبل زراعتها وحياتها (راجع المشرق ٦:١ و ٦٧). ومنها المؤتمر الطبيّ المنعقد في ١٩ منهُ حضره نيف وخمسمائة طبيب قدموا القطر المصري من كلّ جهات العالم المتمدّن وتباحثوا في مسائل الطبّ وملحقاته. ومنها اخيراً ابرام المعاهدة التجاريَّة بين مصر وفرنسة تخوّلها حقوقاً متبادلة في واردات البلدين وصادراتها — واذا ختمنا هذا النظر في افرقية الشماليَّة بالمغرب الاقصى وجدنا انَّ الامور فيها مدعاةٌ للقلق منذ وفاة الباي سيدي علي باي في ١١ حزيران وتولّي ابنهِ على زمام الولاية. فانَّ بعض القبائل المجاورة لتونس قد نشرت لواء العصيان وتتهدَّد البلد والباي حتى الآن غير كافٍ لردّ غاراتها

٥ اوقيانية

انَّ التحالف الاسترالي الذي جرى في عام ١٩٠١ لم يزل في طوره الحرج ولا يبعد مع ذلك انَّ التحالف المذكور يتمُّ قريباً وتدخل فيه زيلندة الجديدة. وما لا ريب فيه انَّ استرالية في ترقٍ عظيم ومستعمراتها في غناء وخصب وسوق تجارتها رائجة. وقد يزيد عدد

سكانها مع الأيام حتى بلغ مليونًا ونصف ليس بينهم من همج الهنود الّا ١٣٠٠٠ هندي امّا الكاثوليك هناك فصار الآن عددهم ٢٥٠٠٠٠

هذا نظر اجمالي في اهمّ ما حدث في عالم الكون في سنتنا المنصرمة ولو سمح لنا المكان لذكرنا اموراً غيرها لا تخلو من الاهميّة كارتداد الملكة ناتالي للدين الكاثوليكي ووفاة ملك زنجبار وغير ذلك ممّا نضرب عنهُ الصفح اقتصاراً والله الحمد

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

٦ انتشار الامّة المارونيّة في لبنان

للامة المارونيّة في لبنان مقام ممتاز لتوفُّر عددها فيهِ ولما بينها وبين هذا الجبل من العلاقات التاريخيّة المتواصلة حتى جاز لها ان تعتبر لبنان كوطنها الخاص. ومن ثم لا يسعنا نصرف عنها النظر في غضون تسريح ابصارنا في آثار لبنان

وليس كلامنا في الأمة المارونية تاريخيًا اذ لم نتوخَّ في مقالاتنا تاريخ الجبل بل آثارهُ ولاسيّما ان تاريخ هذه الطائفة قد شاع اليوم فلا حاجة الى اعادة ما يعرفهُ القرَّاء (١ وعليهِ فنقتصر في هذا الباب على ما يختصّ بنشر الطائفة وانتشارها في لبنان فنُعدّ بهذه الدروس الخاصّة الموادّ لتاريخ اعمّ واكمل. وفي الفصول السابقة توطئة لهذا الباب وفيها ذكرنا الشعوب الذين جاءوا قبل الموارنة سكناهم في لبنان. ومنهم من خلّف فيهِ شُعَبًا من عُنصره كالمردة والجراجمة بقي منهم فئات في القسم الثاني من القرن السابع الذي نخصّهُ الآن بالبحث.

---

١) راجع تاريخ الطائفة المارونية للدويهي الذي نشرهُ جناب الاستاذ العالم رشيد افندي الشرتوني

وكان الموارنة في ذلك العهد عبارة عن مجموع زُمَر آراميّة لم يمسَّها العنصر اليوناني وتمدُّنهُ تقيم خصوصاً على مقربة من أفامية في جهات دير مار مارون ومنهُ اتخذوا اسمهم. ومن ثم انتشروا في وادي العاصي وخصوصاً في معرَّة النعمان وفي شيزر وحماة وحمص كما يظهر من نصّ للمسعودي ورد في كتابهِ المعنون بالتنبيه والاشراف ألمعنا اليهِ غير مرَّة

واذا راجعنا اقاويل قدماء المؤرخين كابن العبري في تاريخهِ الكنسي السرياني (١ وابن بطريق (٢ وغيرهما وجدنا الموارنة في مقامات أُخرى ارقى شمالاً كمنبج وقنّسرين والناحية المعروفة بالعواصم. ومن المحتمل ايضاً انهم كانوا في انطاكية وجوارها لانَّ انطاكية تُعدّ كحاضرة هذه الناحية وفيها تدخل مدينة قورس المتكرّر ذكرها في ترجمة القديس مارون لتاودوريطس اسقف هذه المدينة (٣. وكتبة الموارنة يوافقون على انتشار طائفتهم في تلك الانحاء وشهاداتهم في ذلك صحيحة مستندة الى نصوص وضعيّة لا تُنكر. ونحن اوَّل من يرضى بمثل هذه الشهادات المؤيدة بالبرهان

وان سأل سائل هل يُعرف عدد هذه العشائر المارونيّة المستعمرة في سوريّة الشماليّة وسوريّة الوسطى. اجبنا انهُ ليس في وسعنا ان نعيّن ذلك بالتدقيق لكنّهُ يؤخذ من نبذة سريانيّة تاريخيّة اوردها المشرق في سنتهِ الثانية (ص ٢٦٧) نقلاً عن المجلّة الاسيويّة الالمانية (ZDMG, 1875) انَّ هذا اللفيف كان ذا عدد وافر اذ حضر بصفة فرقة دينيّة امام الخليفة معاوية فجرى بينها وبين اليعاقبة جدال كانت فيهِ الدَّولة على اليعاقبة. وكان اصحاب هذه البدعة قوماً كبيرًا في ذلك العهد فلولا انَّ الموارنة كانوا على نوعٍ ما يعادلونهم عددًا لما حكم لهم الخليفة على اخصامهم

---

١) الجزء الاوَّل منهُ ص ٢٧٠-٢٧٤

٢) راجع تاريخهُ في مجموع الاباء اليونان ج ١١١ ص ١٠٧٧ و١٠٧٨ ومنهُ في مكتبتنا الشرقية نسخة خطيّة قديمة ويزعم ابن بطريق انهُ دخل بين الموارنة قوم من الروم لعلهُ يريد الآراميين المتجنسين بالجنسية اليونانية كما كان منهم كثير في سوريّة. وان صحَّ قولهُ كان لهُ شأن لتقرير العناصر السوريّة وغيرها

٣) راجع كتاب البلدان لابن رسته (ص ١٠٧) وفتوح البلدان البلاذري وتنبيه المسعودي وغيرهم من كتبة العرب. وقد تبعنام في كتابة اسم قورس بالسين بدلاً من قورش بالشين وفقاً للفظ الآرامي

وكان دخول الموارنة الى لبنان على رأينا في القسم الثاني من القرن السابع هاجروا الى الجبل من وادي العاصي . وكأني هنا بالقارئ يتعرَّض لي فيقول : مالك تذكر مهاجرة الموارنة الى لبنان اليس اصح ان يقال انَّ سكَّان لبنان الاصليين هم الموارنة . فالجواب على انَّ مبادئ تاريخ الموارنة الديني تشير صريحًا الى كون هذه الطائفة كانت اوَّلًا خارجًا عن لبنان . ومن المعلوم انَّهـا تنتسب الى القديس مارون وقد عاش القديس مارون في شمالي سوريَّة في البلاد الواقعة بين انطاكية وقورس ثم تراها مواصلة سيرها في وادي العاصي في زمن لم نسمع لها بذكر في لبنان . ثم بعد ذلك بمدَّة نجد الموارنة يتوقَّلون في هذا الجبل مهاجرين اليـه من الشمال ونواحي سوريَّة المتوسّطة . فلا بدَّ اذن من التسليم بتنقُّل الامَّة . وفي تاريخ تاوفانوس كما في فتوحات البلاذري اشارة الى هذه المهاجرة كما سنبيّن آنفًا

ولكن تُرى ماذا حمل الموارنة الى مبارحة وادي العاصي واستبدال مقاماتهم فيه ليسكنوا لبنان . نجيب ان الرأي عندنا انهم عدلوا الى لبنان تملُّصًا من اضطهـادات مجاوريهم نخصّ منهم بالذكر اليعاقبة اعداءهم . وكان اليعاقبة في ذلك الوقت اصحاب بطش وسطوة لهم في افامية ونواحيها الكعب الاعلى . وكان لهم قريبًا من افامية دير عظيم على اسم ماري باسُوس (١ بلغ عدد رهبانه ٦٣٠٠ . ولمَّا كان الفريقان على طرفَي نقيض قُضي على الموارنة المهاجرة

وقد بيَّنَّا ما كان بين الفريقين من العداوة . ولنا على ذلك برهان آخر اقدم عهدًا ورد في تاريخ الكنيسة لابن العبري (المجلَّد الاوَّل ص ٢٧٠—٢٧٤) قال انَّ في عهد الملك هرقل حدث بين رهبان دير مار مارون واليعاقبـة مشاحنات فانتزع الاوَّلون من ايدي اليعاقبة كنائسهم برضى ملوك القسطنطينيَّة فحاول اليعاقبة استرجاعها في ايَّام معاوية فلم ينالوا بالمرغوب . ولا غرو انَّ اليعاقبـة كانوا يترقبون الفرصة ليزاحموا الموارنة شيئًا فشيئًا ويضطرُّوهم الى ان يخرجوا من اماكنهم فطلب الموارنة لهم ملاجئ حريزة

١) راجع مقالة الاب شابو في مار باسوس L'abbé Chabot : *La légende de Mar Bassus et de son couvent à Apamée*, p. 55, 60, 63.

٢) انَّ في هذه المنازعات بين الموارنة واليعاقبة دليلًا واضحًا على بطـلان مزاعم بعض الكتبة الذين نسبوا للموارنة اضاليل يعقوب البرادعي في طبيعتي المسيح .

يحصلون فيها على الدعة والسكينة. ولعلّ خراب دير مار مارون حدث في ذلك العهد وكان بعض اليعاقبة سبباً لخرابهِ

بيد انّ هذه المهاجرة لم تكن دفعةً واحدة وانّما حدثت في أزمنة متوالية فكان المهاجرون ينتقلون الى لبنان زرافاتٍ زرافاتٍ. وفي عهد المسعودي اي في القرن العاشر نجد منهم بقايا في وادي العاصي خارجاً عن لبنان. امّا دخولهم في هذا الجبل فكان في وقت المَرَدَة والجراجمة وفيهم يصحّ خصوصاً قول تاوفانس « انّ كثيرين من اهل البلاد احتموا في ذراهم (اي المردة) » وقول البلاذري في فتوح البلدان (١ « انّ جماعة كثيرة من الجراجمة والانباط والعبيد الأُبّاق ضَوَوا الى الروم » اراد بذلك الموارنة فدعاهم باسم الانباط دلالةً على اصلهم الآراميّ

وكان دخول الموارنة الى لبنان من الشمال اعني انّهم تبطّنوا وادي الأُرُنط فاجتازوا افامية وحماة وحمص الى ان قرّ قرارهم في الجبل. فسكنوا اوّلًا جهاته الشمالية ثم تقدموا الى اواسطهِ ثم بلغوا جنوبهُ. هذا ما يمكن استخلاصهُ من النصوص التاريخيّة التي ورد فيها ذكر انتشار الموارنة في لبنان

وقد بيّنا في مقالتنا عن سكنى لبنان في قديم الزمان (المشرق ٥: ٦٤٠) ان مشارف الجبل والجهات المعروفة بالجرد بقيت الى القرن السابع قليلة السكّان كثيرة الغابات. امّا « الوسط » فكانت مأهولة وان كان اهلها اقلّ عدداً من الارياف والسواحل. فلا مراء انّ الموارنة سكنوا اعالي لبنان لخلوّها من السكّان. واحتلّوا اوّلًا اودية الجبّة اعني مقاطعات اهدن وبشرّاي وحدث ولعلّهم لقوا هناك بعض الدساكر التي كانت سبقت عهدهم على الاصحّ كقرية اهدن وقرية بشرّاي (٢ وعندنا انّ الموارنة نزلوا ايضاً في بعض اماكن من منحدر الجبل قريباً من البترون عند دير كفرحي القديم (٣. ولعلّ مدينة البترون نفسها اضحت من اوّل مساكن الموارنة كلّها او على الاقلّ قسم منها

١) راجع المشرق (٥: ١١٢٢)

٢) راجع المشرق (٥: ٦٤٣) وهناك بيّنا ما يختصّ باهدن وبشرّاي. امّا الحدث فمن اقدم قرى لبنان ورد اسمها في نزهة المشتاق للادريسي وتكرّر ذكرها في اخبار اصول الطائفة المارونية

٣) راجع المشرق (٤: ٧٢٨)

فيكون اذن اوَّل مركز احتلَّهُ الموارنة عند ولوجهم لبنان معاملة الجبَّة وقسم من بلاد البترون فهناك كان مهد الأمة المارونية كما اشرنا اليه غير مرَّة

ومن الحوادث التاريخيَّة الاولى التي جرت بعد سكنى الموارنة في لبنان ما ذكرناهُ في مقالتنا عن الجراجمة وهي شكوى اهل الجبل من عامل بعلبك وكان الشيخ الشهير محمَّد الاوزاعي ممَّن دافعوا عنهم وانتصروا لهم . قال البلاذري في فتوح البلدان (ص ١٦٢) عن محمَّد بن سعد عن الواقديّ قال : خرج بجبل لبنان قومٌ شكوا عامل خراج بعلبك فوجَّه صالح بن عليّ بن عبد الله بن العباس من قاتل مقاتلتهم واقرَّ من بقي منهم على دينهم وردَّهم الى قراهم واجلى قوماً من اهل لبنان . فحدثني القاسم بن سلَّام انَّ محمَّد بن سعد حدَّثهُ انَّ الاوزاعيّ كتب الى صالح رسالة طويلة حُفِظ منها وقد كان من اجلاء الذمَّة من جبل لبنان ممَّن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجهِ : « ممَّن قتلتَ بعضهم ورددتَ باقيهم الى قراهم ما قد علمت فكيف تؤخذ عامَّة بذنوب خاصَّة حتى يُخرَجوا من ديارهم واموالهم . . . »

(البقيَّة للآتي)

يمين العليّ

رواية تاريخيَّة للاب س . ت اليسوعيّ (تابع)

الفصل الثالث

مأدبة لوقينيوس فرنطو

كان لوقينيوس فرونطو صاحب المأدبة التي دُعي اليها لوسيليوس رجلًا من اعيان بيروت ممَّن تشرئبُّ نحوهم الاعناق وترنو اليهم الابصار . وكان القيصر نيرون منحهُ رتبة الفارس رجاء ان يؤلف قلبهُ فيجتذبهُ الى رومية ويجعلهُ من ندمائهِ لكنَّ سراب الرتب المنيفة والالقاب الشريفة لم يكن ليخدعهُ فآثر ان يبقى في مدينتهِ رخيَّ البال مأمون الجانب وهو فيها عزيز مكرَّم من ان ينتقل الى جوار نيرون فيضيع بين حشمهِ ويتذلَّل لمن سبقهُ الى نعمة القيصر

ونعم ما فعل فانَّ اهل وطنهِ جازوا لوقينيوس عن امانتهِ خيرًا فجعلوا لهُ المعالي

الخطيرة والمراتب السنيّة فاختاروهُ لسدانة اكبر هياكلهم وجماوهُ كاهناً لخدمة الوهيّة القياصرة. ولم يبقَ لهُ ليترقّى الى ذروة المجد سوى ان ينـال منصب دناسة البلديّة (١) على انّ وجوه البلد كانوا يفكرون في ذلك لاسيَّما انهم كانوا يرون الاهالين مولعين بلوقينيوس يحبّونهُ ويؤثرونهُ

ولم يحظَ فرونطو لدى الشعب فقط وانّما كان ايضاً رجلاً سياسيًّا حاذقًا عارفًا بالامور مُحسنًا لتدبيرها. ولمّا مرَّ فسپسيـان في بيروت ورأى فرونطو ما كان لهُ من السطوة والبأس علم بانهُ سيفوز بعدوهِ ڤيتاليوس ويتولّى زمام العالم الروماني

ومن ثم اجتهد فرونطو ان يتقرّب الى قائد الجيش مدّة اقامته في المدينة ويأسر قلبهُ بمعروفهِ فكان يباري الامراء والملوك بما يهديه لفسپسيان من الالطاف ويتبرّع لجنده من المال. ولما رأى سُخيم (Soemc) صاحب حمص وانطيوخوس الرابع ملك قوماجين واغريپا ابن هيرودس اغريپـا ملك اليهوديّة واختهُ برنيقية يتسابقون الى الحظوى لدى فسپسيان لم يدَّخر هو وسعاً ليغلبهم بكرمهِ وجاههِ وبذخ عيشهِ فأولم لهُ ولقوّاده الولائم الفاخرة التي دُهش لها المدعوون واقروا لهُ فيها بالسبق

بيد انَّ لوقينيوس لم يصرف كل هذه المبالغ الَّا لينال جزاءهُ قريبًا من فسپسيان ساعة يجلس على تخت القياصرة. فما بلغهُ في ذلك اليوم خبر مبايعة مجلس الأشراف في رومية للامبراطور الجديد وهو لم يخرج بعد من الاسكندريّة حتى اوفد الوفود اليها والى رومية معاً امّا الى الاسكندريّة فليبلّغ سلامه وفرائض التهاني لمخدومهِ "القيصر الالهي". وامّا الى رومية فليشكر الشيوخ على مبايعتهم بالملك لمن هو جدير بهِ. وبعث ايضاً من قبلهِ رجلاً الى ليسينيوس موسيانوس عامل سوريّة سابقًا وصديقـهِ الحميم يهنّـئهُ على الرتبة التي نالها وهي قيادة الجيوش الرومانيّة ونيابة القيصر عليها وكان هذا الرجل دخل رومية واستولى عليها باسم فسپسيان سيّدهِ

وكذلك الاعياد الشائقة التي أقيمت في مساء ذلك النهـار في شوارع بيروت فكان لوقينيوس فرونطو انفق عليها من مالهِ الخاص مبلغاً عظيماً ومن ثم كنت تسمع القوم المتقاطرين من كل ارباض المدينة وانحاء لبنان يلهجون باسم هذا الفارس ويثنون

(١) هذه الرئاسة كان يتولّاها عند الرومان رجلان من وجوه كل مدينة فيُدعيـان لذلك باسم ديومڤير (duumvir)

عليهِ الثناء الطيِّب فزادت بذلك شهرتهُ وعظُم شأنهُ

وكان زاد على هذه المظاهر العموميَّة انهُ اعدَّ في عشيَّة ذلك النهار وليمةً دعا اليها كلَّ وجوه المدينة واصحاب الاقدار الشريفة ليقاسموهُ افراحهُ بارتقاء الملك فسپسيان الى السُدَّة الامبراطوريَّة

وكان ليسينيوس صديق راسيوس روفوس من جملة المدعوّين لهذه الوليمة كما مرّ ففارق روفوسَ وتركهُ اسيفًا كسيفًا ثمَّ سار الى بيت فرونطو وموقعهُ على حافة الطريق السائرة الى نهر بيروت. وكنتَ ترى اشراف البلدة آتين من كلّ صوب يحملهم العبيد على الحفات ويتقدَّمهم الخدَم بالنشّاطات الموقدة وكانت هذه الانوار تزيد بهاء المشاعل والمصابيح التي كانت تزين البيوت الخاصَّة فتجعلها كأنَّها شعلة نار

امَّا ليسينيوس فانهُ كان يسير ماشيًا تزاحمهُ هذه المواكب فكان يسمع العبيد يصرخون كلٌّ بلهجته الخاصَّة. فهذا يقول: وسِّعوا الطريق لكابيتون الشريف. وذاك يردّد: حيدوا عن مسير ابن اوفيميوس. ويكرّر ثالث: أَلَم تفتحوا طريقًا للضابط سرديوس أحلنا عليكم بالسياط. ولم يزل هو يمشي الهوينا حتى ادرك باب لوقينيوس حيث رأى الاشراف يترلون من محفاتهم فيستقبلهم عند مدخل الدار اصحاب فرونطو وخدَمهُ ويساعدونهم على ارتقاء الدرج الرخاميّ الذي في وجه الدار

فدخل لوسينيوس مع الداخلين ولمَّا وصل الى ساحة الدار الداخليَّة وجد فرنطو وهو قائم يرحّب بالقادمين فسلَّم عليهِ وكان كل كبار القوم اذا دخلوا يتقدَّمهم ترجمان (nomenclator) فيذكر لصاحب الدار اسم المدعوّ والقابهُ فيصافحهُ فرونطو ويسلّم عليهِ سلامًا طيبًا ثم يدخلهُ الى ردهة كبرى ينتظر فيها المدعوّون ساعة العشاء.

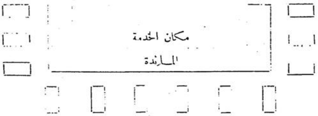
ولما صار ليسينيوس في القاعة اختار لهُ زاوية بقرب صديقين وجدهما هناك اسمهما كاپورنيوس وديودوتس فجلسوا يتجاذبون اطراف الحديث ويترقَّبون احوال المدعوّين

وكان المدعوّون في تلك الليلة من كل طبقات الناس لم يتأنَّ فرونطو كثيرًا في انتخابهم وغايتهُ ان يظهر أُبَّهة دارهِ وسعة ذات يده. فكان التجار واصحاب الفنون وصغار العمَّال ممزوجين بذوي الرتب الجليلة كشيوخ البلد والقضاة وكبار الضباط واعيان الثغر من اهل الثروة والاملاك. وكان ديودوتس يعرفهم كلهم فاخذ يصفهم لصديقَيهِ كاپورنيوس وليسينيوس يساعدهُ على التمييز بينهم منظر حللهم الرسميَّة وما عليها من

النقوش والتطريز بالذهب . وكانت اصوات الحديث تتصاعد شيئاً فشيئاً فيُسمع لها دويٌ اجش. وبينما كانوا على ذلك اذ دخل المقاسم (questeur) فقام لهُ القوم اجلالاً ثمَّ عادوا الى حديثهم هنيهةً واذا بباب غرفة الاكل انفتح على فور فظهرت القاعة مشعَّةً بالانوار وعلى بابها عبدان صغيران بايديهما اكاليل اخذا يجعلانها على رؤوس المدعوّين وهما يشيران اليهم بالدخول بالرجل اليُمنى لتفاؤل اهل الزمان باليمين

فدخل القوم ودُهشوا لجمال تلك الحجرة وكثرة مفاخرها كنقوش سقوفها ومصابيحها الزجاجيَّة المصطنعة في الاسكندريَّة وصيداء وكانت روائح الندّ واللبان العربيّ تفوح من كل جانب يلقيها العبيد في النار فينتشر عبيرها في الدار

ثم اضجع المدعوُّون اثنين اثنين على مضاجع أعدَّت على ثلاث جوانب المائدة



صورة المائدة عند الرومان وحولها فُرُش المدعوين يضَّجعون عليها للاكل

وهي تتلألأ بصحاف البلُّور وآنية الفضَّة والجامات المرصَّعة بالذهب والحجارة الكريمة. فتقدَّم العبيد وحلُّوا لكل نديم احذيتهُ وضمَّخوا رجليهِ بالطيب بينما كان الندماء يمتدُّون كلٌّ على فراشهِ ويتكئون على احد مرافقهم للاكل

ثم باشر المؤاكلون بمقدَّمات الطعام عرضها عليهم العبيد ثم ترعوها من امامهم بسرعة غريبة حتى انَّ لسينيوس وصديقهُ ديودوتس وكاپورنيوس كانوا يترصَّدون الالوان فاذا قربت من ايديهم تسارعوا اليها وازدردوها ازدراداً لئلَّا تفوتهم الفرصة اذ كانوا من صنف الطفيليين الذين لا يأكلون ليعيشوا بل يعيشون ليأكلوا

وبعد النقول اخذ الخدَّام بتقدمة الاطعمة كلحوم المواشي والدواجن والطيور والاسماك مع عدَّة مآكل مما كان يغالي بهِ الرومان ويستجلبونهُ من البلاد البعيدة. ثم انتهوا بالحلويات والقطائف والفواكه. وكان صاحب البيت في اثناء الاكل يلاحظ المدعوّين

لئلا ينقصهم شي٠٠ وكان اذا اراد الحظوى لدى بعض ضيوفهِ يخصّهم بقطع يختارها لهم فيرسلها على يد العبيد. ولذلك امرَ ليسينيوس الى ديودوتس قائلًا : ألا ترى فرونطو يؤلّف القلوب ليُصيب عندهم اثرةً ومكانةً. امَّا نحن فلا تراهُ يفكر فينا. قال ديودوتس : ان لم يخدمنا فرونطو فنحن نخدم نفوسنا. قال هذا ورأى في يد احد الخدم صحفةً فيها ساوى فاستدعاهُ بالحاح بيد انَّ العبد اصمَّ دونهُ سمعهُ وقدَّم الصحن لغيره

وكان عبيد آخرون وقوفًا وفي ايديهم اجاجين مملوءة من صنوف الخمور كالخمر القبرسيَّة وخمر جزيرة ساموس وخمر حلبون (المجاورة لدمشق) يسكبون منها في اقداح الندماء فيفرغونها وكانت هذه الاشربة في الغالب من المدامة المعتّقة تضرب سورتها في راس الشاربين. فما مرَّ عليهم ساعة من الزمان حتى علا لغطهم وارتفعت جلبتهم وكان منهم من يستغرب ضحكًا او يكثر من المجون والمزاح البذيّ

وكانت اجناس الاطعمة وصحاف الالوان تتوارد بلا انقطاع حتى كظَّ الطعام الآكلين. امَّا فرونطو فلما رأى انَّ ضيوفهُ شبعوا امر جوقةً من القيون بان يدخلنَ فيطربنَ الناظرين برقصهنَّ ففعلنَ وأرينَ الحضور من حركاتهنَّ العجائب الغرائب والجمهور يصفّق لهنَّ ويشبع العيون من زفنهنَّ الخلاعي

ولما انتهينَ اشار فرونطو الى فرقةٍ من اصحاب الطرب فاخذوا بعزف الملاهي وشنّفوا ساعةً آذان المدعوّين بآلاتهم ثم عقَّبوا ذلك باناشيد واغاني شجيَّة في مديح القيصر الجديد ووصف عظمة رومية امّ المدن واطراء المدعوّين وكانت بذلك نهاية هذه الحفلة التي دامت ستَّ ساعات متوالية

وكان المدعوّون اصبحوا في حالةٍ يُرثى لها وهم بين نيام وسكارى فاسرع اليهم عبيدهم وحملوهم الى محفّاتهم ثمَّ نقلوهم الى بيوتهم على عجلةٍ. امَّا ليسينيوس فدعا صديقيهِ ليناموا عندهُ في بيتهِ الذي وصفنا موقعهُ فوق الاكمة المشرفة على النهر فساروا وهم يتمايلون ذات اليمين وذات الشمال يمشون خطوةً ويسقطون أخرى حتى بلغوا بعد الجهد الجهيد بيت ليسينيوس وامتدُّوا على فراشهم وهم لا يعون

وكان نور الصباح اخذ يتبلَّج والمدينة تستفيق من النوم (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

SCIENCE ET RELIGION

Etudes pour le temps présent, 250 volumes.

العلم والدين مباحث لافادة اهل العصر

Librairie Bloud et Barral. *Paris*. 1902

قد توفَّرت في عصرنا المطبوعات التي تناصب الدين وتبثّ على رأس الاشهاد روح الكفر والفساد ولذلك قد هزَّت الاريحيَّة جماعة من الكاثوليك الفرنسويين على ان يؤلّفوا مكتبة واسعة على اسم « العلم والدين » يودعوها اهمّ المباحث التي يخوض فيها كتبة العصر فيرجع اليها الكاثوليك في معضلاتهم. والمكتبة المذكورة تتألف اليوم من ٢٥٠ تأليفًا كلها على قطع واحد وحجم يختلف بين ٦٠ و ٨٠ صفحة بحيث يمكن اقتناء كلّ منها بثمن بخس لا يتجاوز ستين سنتيمًا. امّا مؤلفوها فهم كلُّهم من مشاهير الكتبة ممَّن اجمع الناس على طول باعهم في ما توخَّوا البحث فيهِ. ولمَّا كان عدد هذه المصنَّفات وافرًا لا يمكنَّا وصفها جميعًا نكتفي بذكر بعضها ممَّا يهمّ الشرقيين خصوصًا فمن ذلك عدَّة تآليف في الكتاب المقدَّس ومتعلَّقاتهِ هذه اسماء بعضها: ما هو الكتاب المقدَّس. التوراة وتاريخها منذ اصولها الى ايامنا. التوراة والعلوم الشرقيَّة. التوراة بازاء العلوم النظريَّة. اسفار موسى الخمسة. الاسفار الالهيَّة وصحَّة رواياتها. نسبة العهد الجديد الى الرسل. كيف كُتبت الاناجيل المقدَّسة (1). ومن هذه الكتب ما وُضع لبيان حياة المسيح وقيامتهِ ولاهوتهِ: طفولة المسيح وفقًا لتقليد اليهود والنصارى. حكم اليهود على المسيح بالموت. موت المسيح على الجلجلة. هل قام المسيح؟ المسيح الدجَّال. العالم اليهودي في عهد المسيح والرسل (2). ومنها ما يبحث عن الدين المسيحي وتاريخهِ وعن الكنيسة

1) **Th. Calmes**: Qu'est-ce que l'Ecriture sainte. — **C. Chauvin**: La Bible depuis ses origines jusqu'à nos jours; I *La Bible chez les Juifs*, II *La Bible dans l'Eglise Catholique*. — **V. Ermoni**: La Bible et l'Orientalisme: I *La Bible et l'Egyptologie*; II *La Bible et l'Assyriologie*. — **B. Colomer**: La Bible et les Théories scientifiques. — **L. Méchineau**, s. j.: L'Origine mosaïque du Pentateuque. — **Idem**: L'Autorité humaine des Livres Saints. — **Idem**: L'origine apostolique du Nouveau Testament. — **Th. Calmes**: Comment se sont formés les Evangiles.

2) **C. Chauvin**: L'enfance du Christ d'après les traditions juives et chrétiennes. — **Idem**: Le Procès de Jésus-Christ. — **Idem**: Au Golgotha — **Idem**: Jésus-Christ est-il ressuscité? — **Idem**: His-

الكاثوليكيّة والبدع المنفصلة: سموّ الدين المسيحي. ارتداد القديس بولس. اصل الرتبة الاسقفيّة. تأثير الدين في الفنون. الكنيسة الرومية الارثدكسيّة والاتحاد. الكنيسة الروسيّة. الدين المسيحي في الحبش(١ وقسمٌ يبحث عن الاديان غير النصرانية كديانة اليهود والبراهمة وكنفوشيوس وبوذا(٢ ويوجد اقسام اخرى تتضمّن تآليف عديدة لاهوتيّة وفلسفيّة وادبيّة وعلميّة كلُّها جزيلة المنفعة نحضُّ ارباب الدين على مطالعتها وتعريبها

شَذَرَاتٌ

الكوليرا او الهواء الاصفر في الشام — ارسل الينا جناب يوسف افندي الفاخوري من اساتذة العربيّة في المدرسة البطريركية العامرة هذه القصيدة فاثبتناها بالحرف:

بالشام ضيفٌ قد أناخ ثقيلا	وأبى التحمّل واستحبَّ حلولا
علمَ الدماثة سنّةً شرعيّةً	في اهلها فارتادهم تطفيلا
ورأى بتلك الارض اكرم معشرٍ	تخذوا السماحَ مؤالفًا وذميلا
قوم همُ من اصل يعربَ دأبهم	بذلُ النوالِ على العُفاة جزيلا
خالوا الضيافة خلّةً محمودةً	حتى ولو كان المضاف مهولا
فرأى بهم جودَ الاعاربِ طامياً	واباءةً وتعزُّزًا وجميلا
الفى التلطّف من حميد خلالهم	وهو العدوُّ ولم يكن مأمولا
فاغتاظ منهم واستعاذ بمكرهِ	واسرَّ شرًّا بالدها موصولا
فاتى المياهَ وبثَّ فيها سُمَّهُ	من غيظهِ واقام ثمَّ تريلا
والناسُ طبعًا مائلون لرشفها	وهي الحياة وضمّت التنكيلا

toire de l'Antechrist — **E. Beurlier :** Le monde juif au temps de Jésus-Christ et des Apôtres. 2 *parties*.

1) **P. Courbet :** Supériorité du Christianisme. — **L'abbé Bourgine :** Conversion de S^t-Paul — **V. Ermoni :** Les Origines de l'Episcopat. — **A. Renucci :** L'influence de la Religion dans l'art. — **F. Tournebize.** s. j. : L'Eglise grecque-orthodoxe et l'Union, 2 *parties*, - **I. L. Gondal :** L'Eglise russe - **Idem :** Le Christianisme au pays de Ménélik.

2) **A.-F. Saubin :** La Synagogue moderne. — **Idem :** Le Talmud et la Synagogue. — **Ch. Godard :** Le Fakirisme. — **L'abbé Thomas :** Le Bouddhisme, 2 *parties* — **Ch. Godard :** Le Brahmanisme. — **P. Caron :** Confucius, sa vie et sa doctrine.

ما كان يرضى ان يقتّل بعضهم | بل انهُ نظر الكثير قليلا
ولذاك ذا الخداع يُردي منهم | في كل يوم اربعين قتيلا
والاهل من هذا العدوّ تحذّروا | جدّوا المسيرَ عن الديار قبيلا
والجوّ ما انقشعت غياهبُ غيثهِ | والحال توجب عن دمشقَ رحيلا
ان البعاد عن المواطنِ مؤلمٌ | من غير موجدةٍ تُقام دليلا
قلقت خواطرنا بنكبة بلدةٍ | تشفي الغليل متى لقيت غليلا
ما كان فيها غير خيرٍ كُلّنا | نُولاه من تلك الديار جليلا
فالبرّ منبعهُ الشآم وخبزه | يُفضي الى جرّ الشقاء وبيلا
إنّا لنأسف ان تكون دمشقنا | مشقّةً او تُحرَمَ التسهيلا
لولا حميّةُ ناظمٍ ومظفّرٍ | ورشيد بيروتَ العزيز مثيلا
هامَ التجارُ بكسبهم ورباحهم | ورأوا الى حجز الدقيق سبيلا
وغدا الفقير بحاجةٍ لغذائهِ | والكفُّ صفرٌ لا تنال فتيلا
يا ربّ وقيا ذي الاماكن فتكهُ | وأرحم دمشقًا واهزم المحاولا
يا ربِّ ما جحد العبادُ مراحمًا | في الشرق واتّخذوا الفساد خليلا
إنّا على سُبل الهدى فارفق بنا | جودًا وظلّتَ إلهنا المسؤولا

أسئلة وأجوبة

ابيات مجهولة البحر (جواب على سؤال سابق للاب خليل اده اليسوعي)

سُئل المشرق (في اول اعداد هذه السنة ص ٤٨) من اي بحر هي الابيات الآتية الواردة في كتاب الاغاني (٢١ : ١٩١) على لسان بَيهس وكيف تُقطَّع:

يا لها نفسًا يا لها انّسني لها الطعمْ والسلامهْ
قد قتلَ القومَ اخوتها بكلّ وادٍ رناه هامهْ
فلأطرقَنْ قومًا وهم نيامٌ وأبركَنْ بركةَ النعامهْ
قابض رجلٍ باسط أُخرى والسيفُ أُقدمهُ امامهْ

(فنجيب) ان العلّامة غويدي في فهارس كتاب الاغاني جعل هذه الابيات من بحر المنسرح يريد المحذوف الوتد في آخر عروضهِ وضربهِ فتأتي اجزاؤه:

وهو قولٌ اقرب الى الصواب من غيرِهِ لكنّهُ لا يحلُّ المشكل حلاً مُرضيًا فانك ان قطّعت هذه الابيات على المنسرح وراعيت جوازات هذا البحرِ الشعريّة لم تكد تجد بيتًا واحدًا يطابق تفاعيل هذا البحر مطابقةً تامّة ما لم يُقَل انّ الرواية فاسدة ولا بُدَّ من شاهد على فسادها لاسيَّما انّ الابيات منقولة عن نسختين مختلفتين ليس بينهما فرقٌ يُذكر. ولكن اذا تعذَّر تعيين بحرِ هذه الابيات يُمكننا بيان ايقاعها طبقًا للمبادئ التي شرحناها سابقًا في المشرق (٣: ٩٣٦؛ ٢٦ . ١؛ ١٠٨٣). والبحث عنهُ لا يخلو من الفائدة

(نقول) اذا دللنا على المقطع المتحرّك اي الحرف المتحرّك بهذه العلامة (⏑) وعلى المقطع الساكن وهو عبارة عن السبب الخفيف بهذه العلامة (—) وقطّعنا الابيات السابقة وفقًا لذلك حصلنا على الجدول الآتي :

	الصدر		العجز	
البيت الاوّل	––⏑–•	––⏑–––	––⏑–⏑	––⏑–⏑
〃 الثاني	––⏑⏑–	–⏑⏑–⏑	––⏑–⏑	––⏑–⏑
〃 الثالث	–– –⏑––	––⏑–⏑	––⏑–⏑	––⏑–⏑
〃 الرابع	––⏑⏑–	––⏑⏑–	⏑–⏑––	––⏑–⏑

فاذا اعتبرنا في بادئ الامر أعجاز هذه الابيات دون صدورها ظهر لنا لاوّل وهلة الايقاع فترى اوّلًا الاعجاز الاربعة تتركّب من عشرة مقاطع. وثبات عدد المقاطع من شروط النظم العربيّ في اكثر بحورهِ. ثم ترى في هذه الاعجاز مع اتفاق عدد المقاطع ثبات عدد الازمنة لانّك اذا حسبت المقطع المتحرّك زمنًا والساكن زمنين وهذا اعدل قياس لمقادير المقاطع وجدت لكل عجزٍ من الابيات الاربعة ١٦ زمنًا (راجع المشرق ٣: ٩٤١). ثم اذا لحظت ترتيب هذه المقاطع ونسبة حركاتها وسكناتها وجدت انها تنقسم الى جملتين متشابهتين تتألف كل منهما من خمسة مقاطع تتوالى على اسلوبٍ واحدٍ اوّلها وثالثها متحرّكان والباقية ساكنة الّا عجز البيت الرابع وسنبيّن سبب هذا الاختلاف فيهِ. وانت تعلم انّهُ اذا توالت ازمنة محدودة على نسب واوضاع مخصوصة ثم أُعيدت تلك الازمنة بمقاديرها وترتيبها فذاك دور الايقاع بعينهِ (المشرق ٣: ٩٤٠). واذا رددت هذه الاعجاز الى التفاعيل وجدتها تتألف من دَوْرَي ايقاعٍ وزنُ كلّ منهما « مَفَاعِلاتُنْ »

وان قُلتَ ليس في الابحر العربية المألوفة بحرٌ من هذا الوزن. اجبتُ: (اولًا) ان الغرض من مقالتي هذه البحث عن ايقاع هذه الابيات لا تطبيقها على الابحر المعهودة

اذ الامر يتعذَّر كما رأينا . (ثانيًا) وما ادراك انَّ هذه الابيات لا تدخل في شوارد الشعر العربيّ التي لم يُضبَط بحرها باتّفاق العروضيّين (راجع العمدة لابن الرشيق طبعة تونس ص ١١٦ و ١١٨) . (ثالثًا) ساء ظنُّ القائل بانَّ هذا الوزن غريب عن الأوزان العربيَّة اذ نجدهُ في الايقاعات اللحنيَّة التي ذكرها صفيّ الدين البغدادي (راجع المجلة الاسيويَّة الفرنسويَّة سنة ١٨٩١ ج ٢ ص ٢٥٠) وقد دعاهُ الثقيل الثاني . بل من الاغاني القديمة ما وجدناهُ مطابقًا لهذا الوزن في نظمهِ ولحنه

---

١ فان صحَّ عن اعجاز هذه الابيات أنها من وزن الثقيل الثاني بقي ان نفحص عن صدورها أتصدق فيها شروط هذا الايقاع . (قلنا) ان الصفيّ يجعل دور هذا الوزن كما ترى

٢٠ ٢٠ ٢٠ ٢٠ ٢٠ ٢٠ ٠ (ثم يعود)

فالنقط في هذا الدور تدلُّ على النقرات والاعداد على ازمنتها . ويوازيها في النظم الاحرف وحركاتها (راجع المشرق في الاعداد المذكورة) . ويجوز بين النقرة الاولى والثانية وبين الثانية والثالثة اقحام نقرة بشرط ان لا تنقص الازمنة ولا تزيد . وذلك على طرق مختلفة . منها أن تقسم الزمن الاصلي الى ثُلثين وثُلث او بعكس ذلك الى ثلث وثلثين او ايضًا مناصفةً كما ترى في الاشكال الآتية :

الاصل	٠			٢	٠		٢	٠		٢	٠
الشكل الاول	٠	١	٠	٢	٠	١	٠	٢	٠	٢	٠
الشكل الثاني	٠	٢	٠	١	٠	١	٠	٢	٠	٢	٠
الشكل الثالث	٠	١½	٠	١½	٠	١	٠	٢	٠	٢	٠

وقد ذكر صفيّ الدين صريحًا الشكل الاوَّل . وان بدلت النقرات وازمنتها في هذه الاشكال بالحروف والحركات المناسبة كان الايقاع في الشكل الاوَّل « مَفَاعِلاتُنْ » وفي الثاني « مُفتعلاتن » وفي الثالث « مستفعلاتن » باعتبار قياس كل من السببين الاوَّلين من « مُسْتَفِعِلَاتُنْ » زمنًا ونصف زمن وقد بيَّنَّا وجود هذا الزمن (راجع المشرق ٣ : ١٠٨٥) . ومن المُمكن ان تُقْحَم النُّقَر على طرق اخرى نضرب الآن عنها صفحًا

٢ ومن جوازات العرب في اوزان ايقاعاتهم أنهم يعكسون الاجزاء والادوار ولنا شاهد على ذلك حتى في عروض البحر الخفيف حيث اجازوا « مُسْتَفْعِلُ » وهو عكس « فَعِلَاتُنْ » . وعليهِ فان قلبنا في الايقاع الذي نحن في صددهِ « مفاعِلاتن » و « مُفتَعِلَاتُنْ » صارا بالقلب « مُسْتَفعِلَاتُ » و « مُسْتَفعِلَتُنْ »

٣ ولا بُدَّ من تنبيه القارئ على مبدإٍ آخر ذي شأن وهو انَّ للسكتة في الانشاد والغناء قياساً يحسب زمنهُ مع ازمنة الايقاع وهو كثيرٌ في الغناء. ولا اظنُّهُ يُنكر في النظم اذ لا يتمّ الوزن غالباً الّا بهِ. قال ابن الرشيق في العمدة (ص٩٢) عن الخرم في الشعرِ: «انّما اسقطوهُ (اي الحرف الاول من الوتد) كأنهم يتوهّمون انهُ في السكتة فلذلك جعلوهُ في الوتد المجموع لان المفروق لو اسقطوا حركتهُ الاولى لبقيَ ساكناً ولا يبتدأ بالساكن فيسقط ايضاً والسكتة لا تحتمل عندهم الّا حرفاً (اي زمناً) وهذا اعتدال مليح جدًّا» اه. وجاء ايضاً لابن سينا في الشفاء (راجع المقالة الـ٥ من الفن الـ١٢ من الرياضيات وهي في الايقاع(١ بعد ذكرهِ مكان السكتة من الايقاع اللحني وقلّة استعمالها في الايقاع الشعري لتعذر الوقف في الكلام (Ms. Lond. 171b): «الّا انّ في البحور العروضيّة بحرين هما من هذا القبيل وانّما يقترنان بسكتة وهما تغييران لبحرين آخرين وتجد هناك تغييرات لبحور جُعلت بحوراً لاغراضٍ لهم» اه. ثم اورد مثالاً واحداً وهو المديد وزعم انهُ من الرمل انّما يقترن بسكتةٍ قياسها زمانان بعد الجزء الثاني «فاعِلُنْ» او «فاعِلا» بدلاً من السبب المحذوف «تُنْ»

واذا رجعنا الآن الى الابيات التي نحن في صددها قلنا عن صدر (البيت الاول) ان جزءه الاول «يا لها نَقْ» مَفاعلاتُنْ دخلهُ شبه الخرم وعُوّض عنهُ بسكتة. وامّا الجزء الثاني «ـسًا يا لها انْ» فوزنهُ مُستفعلاتن وقد بيّنّا طريقة تحويل «مَفاعلاتُنْ» اليهِ

(صدر البيت الثاني) جزؤهُ الاول «مُفتَعِلاتُنْ» بدلاً من «مَفاعلاتُنْ». وامّا الثاني فلا يقترن الّا بسكتة مدّة زمن واحد بعد م لفظة «اقوم» فيكون الوزن باعتبار هذا المقدّر «مُستَفعِلاتُنْ» وهو عكس «مُفتَعِلاتُنْ»

(صدر البيت الثالث) على ظنّنا ان الرواية الصحيحة لهذا الشطر هي «فلا طَرَقْنَ قوماً هُمْ نيامُ» بحذف الواو لان الزيادة ظاهرة فيهِ. فيتركّب من «مُستَفعِلاتُنْ» مرّتين (٢

(صدر البيت الرابع. وزنهُ «مُفتَعِلاتُنْ» مرّتين. امّا اول جزء العجز فهو «مُستَفعِلاتُ» وهو عكس الأصل — وخلاصة الكلام انَّ وزن هذه الابيات مَفاعِلاتن (٨ ازمنة و٥ مقاطع) مرّتين في كل شطر يجوز فيهِ مُفتعِلاتن ومستفعلاتن (بشرط مراعاة الزمن) مع عكس الوزن الاصلي وجوازاتهِ

---

١) في مقالتنا عن الايقاع في الشعر العربي ان احسن طريقة لمعرفة ايقاعات الشعر العربي مقابلتها بايقاعات الالحان ثم وجدنا في الشفاء لابن سينا انّهُ يتبع هذه الخطّة في كلامهِ عن الايقاع ولولا انَّ النسخة التي بين ايدينا كثيرة الاغلاط لنشرنا هذه المقالة برمّتها لما تتضمّنهُ من الفوائد

٢) وان اعتبرت الرواية صحيحة قلْ انّهُ دخلهُ شبه الخزم «فَلْ» وانَّ جزءهُ الاوّل «مُفتَعِلاتُنْ» وهو من تغييرات الدور الاصليّ